رسائلهن

رسائلهن

"هنا يرقد.. كل مؤنث"

رواية

أحمد الطوبجي

تصميم الغلاف: محمد محسن

رقم الإيداع: 2004 /2020

I.S.B.N:978- 977-6640-70-2

الطبعة الأولى2020م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

أحمد الطوبجي

رسائلهن

"هنا يرقد.. كل مؤنث"

رواية

قائمة الشكر والعرفان

* إلى الوالد والصديق: السعيد الطوبجي، أدامك الله سندًا ودعمًا لي..

* إلى أصل كل شيء جميل "أمي الحبيبة".. أحبك بعدد الحروف والكلمات..

* إلى "ياسمين الطوبجي"، "فيروز الطوبجي"، "شريف دهب"

و"محمد حلمي".. شكرًا على وجودكم بحياتي، شكرا لأنكم كما أنتم.

* إلى أفراد شركة المرعبين المحدودة:

"جنا دهب، حلا حلمي، هنا حلمي وآسر دهب".. قد تقرأون تلك الرواية بالمستقبل، أرجو عند انتهائكم منها أن تفتخروا بخالكم ☻ ♥

*إلى الكاتبة والصديقة "آية سعد الدين" مدير عام دار زين للنشر والتوزيع.. شكرًا لتحملك الكثير من أجلي، شكرًا لكونك الصديق والداعم.

*إلى من كان لهما الفضل في تحويل تلك السطور من أفكارٍ صماء إلى عمل متكامل "عبدالرحمن عليوة.. وعبدالعزيز طارق"..

شكرًا لكما يا رفيقي الدرب.

* أعضاء فريق نوفيستوري للكتابة.. شكرًا على الدعم والإلهام.

* أما أنتِ.. فالكلمات لا توفيكِ أدنى الحقوق، شكرًا لاتساع صدرك لهذا الكم من الجنون والعصبية.. شكرًا "فاطمة البدري"، جعلكِ الله ذخرًا لذلك الأحمق "اللي هو أنا".. شكرًا يا زوجة المستقبل..

مقدمة

* ماري لويز:

ماري لويز طفلة من أسرة متدينة، كانت حياتها مستقرة، وتعيش في عائلة بسيطة، إلا أن كل شيء تغير بعد وفاة والدتها حينها شعرت ماري لويز أنها وحيدة، وأن كل الرجال من حولها وحوش، كانت صغيرة السن ويتولى رعايتها رجال أسرتها ولكنهم كانوا من منعدمي الضمير، وذات ليلة باردة استيقظت فزعة وهي في أحضان أحد أعمامها يحاول أن يعتدي عليها.

كان عمها ضخما وصاحب بنية قوية ولكنها تمكنت، من التخلص منه بصعوبة شديدة، كانت تسأل بينها وبين نفسها ماذا يفعل؟ ولماذا يوجد في سريرها؟ هل يحاول أن يغتصبها؟ حينها شعرت ماري بغضب يتملكها، ويجعلها أقوى كثيرًا فانقضت عليه، ولم تتركه إلا بعد أن ضربت رأسه بقوة فشقته، ولم تعرف ماذا تفعل فهربت على الفور.

كانت ماري لويز طفلة جميلة ذات عينين زرقاوين وقوام جميل، وشعر أسود ناعم، وكبرت لتكون شابة جميلة، قامت بدراسة الأدب والفلسفة وعلم النفس بالجامعة، وكانت تحب الغناء، وحرصت على أن تضع لنفسها نظاما يجعلها في صحة جيدة، فامتنعت عن تناول الكحول.

تقول في مذكراتها "لقد نجوت منه بمعجزة هو قوي البُنية وأكبر مني بِ خمسين سنة، سألتُ نفسي ماذا يفعل معي في فراشي.. وحين شعرت بِغضب يقويني ضربته على رأسه وبعدها قامت امرأة بمحاولة استدراجي لصديق لها لكني رفضت".

حاولت ماري لويز جاهدة، التخلص من عقدتها من الرجال تدريجيًا، وحين قابلت جاك شعرت أنها تخلصت من عقدتها تمامًا، وعادت لها الثقة في الرجال، تقربت من جاك ونشأت بينهما علاقة حب تكللت بالزواج، وكان جاك رومانسيا ويحرص على أن يسمعها الكلام الجميل، فكان يخبرها برغبته في أن ينجب منها ثلاثة أطفال، جميعهم ذكور الأول يكون ضابطا والثاني طبيبا والثالث مزارعا.

الصدمة الثانية في حياتها حينما اكتشفت خيانة زوجها، بعدما ضبطته مع فتاة في غرفة نومها وترتدي ملابسها، يردد على مسامعها نفس كلمات الغزل، وكان يخبرها بها وبأحلامه نفسها، عن الثلاثة ذكور "الطبيب والضابط والمزارع".

شعرت ماري حينها أن عالمها ينهار فلم تتمالك نفسها، إلا بعد أن أطلقت رصاصة قاتلة عليه بكل هدوء، ومن ثم طلبت من الفتاة أن تخلع عنها ملابسها وتنزل إلى الشارع عارية كما هي وإلا قتلتها، وكانت تشعر بكراهية شديدة لجاك.

حينها حدثت نفسها بعنف وأنهتها عن الأحلام والآمال وعن حب الأطفال، وكانت ترى أن الأطفال سيكبرون ويتحولون إلى رجال وحينها سيخدعون الفتيات في كل مكان، اتخذت ماري حينها قرارا بإنهاء هذه المأساة وحماية كل الفتيات من خداع الرجال..

ركبت ماري لويز سيارتها وبدأت في رحلتها إلى الريف، حين وجدت عرسًا قررت أن تترجل من سيارتها وتدخل إلى مكان الحفل، وبكل هدوء وضعت السم بكأس العروسين.

وانطلقت مسرعة، رصاصات مسدسها على كل طفل تقابله في الطريق، وقتلت عشرة أطفال وكانت تردد "ستكبرون وتتحولون إلى

رجال، وتخدعون الكثير من الفتيات، لذلك سأنقذ جميع النساء من الألم الذي أشعر به الآن".

كان من الممكن أن تصبح ماري لويز أستاذة كبيرة في الأدب والفلسفة، أو مطربة ذات صيت واسع ولكن الخيانة من الأهل ومن الحبيب، حولتها إلى سفاحة تقتل بدماء باردة، وإلى مجرمة تقتل دون شفقة، ولديها كل مشاعر الحقد والكراهية والغضب للآخرين.

إهداء خاص جدا

إلى (أ).. عاملة عربة الطعام الحقيقية.. أنتِ من ألهمتني وجعلتِ الأفكار تنهمر من عقلي.. تلك الابتسامة الزائفة التي تداري همومًا يعجز أمثالي عن فهمها والتعبير عنها.. سامحينا يا عزيزتي.. سامحي تلك النظرات التي تغتال جسدك يوميا.. سامحي تلك التعليقات السخيفة التي تطولك يوميًا.. سأخبرك سرا.. تلك الصفحات كانت من المفترض أن تسرد قصتك.. ولكنني وجدت نفسي عاجزًا عن تحمل ألم مجرد سرد آلامك ما ظهر منها وما بطن.. فتحولتِ إلى جزء من روايتي يداري بطياته الكثير والكثير.. إلى (أ).. لا أملك سوى ذلك الإهداء فتقبليه.

إلى كل الموهوبين بمجال الكتابة ممن لم يجدوا طريقًا لإخراج كتاباتهم إلى النور، الرجاء التواصل معي فورًا والانضمام إلى فريق نوفيستوري للكتابة.. عن طريق إحدى الروابط التالية:

https://www.facebook.com/ahmed.topgy.5

https://www.facebook.com/Novestory-104971987553333/?modal=admin_todo_tour

/https://www.facebook.com/WR.AHMEDTOPGY

إلى كل رابونزل، فانتين، امرأة آلية أو حتى عاهرة، إليكن أكتب.. فتقبلن الاعتذار.

أما أنت صديقي الرجل فاعلم أن داخل ذلك الكائن هادئ الملامح والطباع.. يكمن ذلك الوحش الكاسر..

فإما أن تُحسن ترويضه.. وإلا صرنا جميعا فريسة سهلة المضغ بين فكيه..

العجمي.. نوفمبر 2011

انطلقت موجات الرعد الغاضبة تزأر بالأجواء، وتناثرت قطرات الأمطار السميكة لتشبه قطع الزجاج المنثور.. أما الرياح فقد أعلنت هي الأخرى الحرب لاسيما بتلك المنطقة المهجورة بمثل تلك الأوقات من السنة والمطلة على الشاطئ، انتفض من نومه مذعورًا على صوت ارتطام النافذة الخشبية بالحائط.. ليهب من على سريره متجهًا إليها ليغلقها.. قبل أن يعود ليلقي بجسده على سريره، مد يده ساحبًا سيجارة من العلبة الراقدة بجواره تساعد عقله على الاستيقاظ خصوصًا بعد تلك الوجبة الليلية الدسمة من أنفاس الحشيش وكئوس الخمر.. تثاءب متكاسلًا وهو ينظر إلى ساعة الحائط التي أعلنت عن الثالثة عصرا، قبل أن ينمو إلى أذنيه صوت أنفاسٍ لاهثة تشبه زمجرة الحيوانات المفترسة قبل هجومها على ضحيتها قادمة من غرفة الاستقبال بتلك الشقة الصغيرة الموروثة عن والده حيث اختار الهرب، هب من على فراشه بجسده الرياضي رغم اقترابه من الأربعين إلا أن تقدم العُمر لم يظهر سوى على بعض خصلات شعر صدره التي طالها البريق الفضي، بدأت قدماه العاريتان بالسير خطوات حذرة تزامنا مع تصاعد تلك الزمجرة المرعبة.. حتى امتلك من الشجاعة ما يُمكنه من اتخاذ قرار الخروج من غرفته وتفقد أنحاء المنزل، وبمجرد خروجه إلى ساحة الاستقبال توقفت تلك الزمجرة التي أزعجته، فتجول بعينيه متفقدًا أرجاء المنزل صغير المساحة قبل أن يتنهد ويبتسم لاعنًا صنف الحشيش وتاجره.. وفجأة..

امتد ساعد ضخم من خلفه ليلتف حول عنقه وكأنه يعتصره عصرا، جحظت عينيه وهو يقاوم تلك القبضة، لم تر عيناه سوى تلك العروق الضخمة البارزة من ذلك الساعد الضخم الراغب في انتزاع روحه، وعادت تلك الأنفاس اللاهثة الصادرة من خلفه للامتزاج بزئير

الرعد لتزيد الموقف فزعا، حاول التخلص من تلك القبضة بكل طريقة دون جدوى.. حتى رأى ذلك السكين الضخم مرتفعًا إلى الأعلى ثم طعنات متتالية دون رحمة أو شفقة، خارت قواه وبدأ لسانه في الخروج من فمه وسط أصوات شهيقه.. وبدأت بشرته السمراء اللامعة في التحول إلى الزرقة.. حتى بدأ الظلام في إسدال ستائره النهائية تدريجيًا أمام عينيه.. ليرتخي جسده ويسقط أرضًا دون حراك.

ليسود الصمت أنحاء المنزل إلا من تلك الأنفاس اللاهثة التي بدأت في الابتعاد عنه بعدما أردته قتيلا.

الفصل الأول... رابونزل

بعد مرور شهرين.. يناير 2012

"بقولك أيه.. أنا مضربتكيش على أيدك.. أنت اللي سيبتي بيتك وبنتك وجريتي ورا حتة عيل.. عايزاني النهاردة أعمل أيه؟!.. أخدك في حضني؟"

هكذا صاح حسني مخاطبًا زوجته السابقة.. مستغلًا ضعفها وتذللها.. سعيدًا بتلك الدموع التي انهمرت ندمًا على وجنتيها، ولكنها لم تيأس لتتحدث بصوت متهدج يقاوم الدموع قائلة:-

- تعالى ننسى كل اللي فات ونبدأ مع بعض من جديد.

قهقهات تنم عن السخرية كانت ردة فعله على اقتراحها قبل أن يشعل سيجارا باهظ الثمن ويبدأ بالرد عليها:-

- انسى أنك سيبتيني وسيبتي بنتك ومشيتي ورا راجل تاني؟؟ انسى انك خونتيني؟هي دي حاجة تتنسي!

الزوجة:- يا حسني.. طب ما أنت ياما خنتني وكنت بعديها عشان خاطر "كارما" بنتنا.. عديها أنت مرة.

- حتى لو خنتك.. أنا راجل.. وبعدين أنا عايز أعرف أنتي راجعة ليه دلوقت؟.. أيه زهق منك؟ ولا تلاقيه فاهم كويس أن اللي تسيب بيتها عشان راجل تسيب أي حد..

ابتلعت إهانته الساخرة بصمت رغم ما خلفته بروحها، فهي مستعدة أن تبتلع أضعاف ذلك في سبيل العودة إلى حياتها السابقة.. فابتلعت ريقها بصعوبة وتساءلت:

- طب وبنتي ؟!..

هب من على مكتبه متنازلًا عن رباطة جأشه ليصيح بها غاضبا:

- افتكرتي بنتك دلوقت؟ مافكرتيش فيها ليه قبل ما تعملي اللي عملتيه.. بنتك مش صغيرة.. كارما عارفة كويس أنك سبتيها ومشيتي على حل شعرك.. وبصراحة مش طايقة تبص في خلقتك.

صاحت هي الأخرى قائلة:

- أنا إنسانة مش ملاك.. وممكن جدًا أغلط ومن حقك ماتسامحنيش.. لكن من حقي أشوف بنتي، ده حقي ومش هسيبه.

نظر إليها ساخرًا وأطال التدقيق بملامحها، وكأنه يشبع عينيه من تذللها له، قبل أن يتحدث قائلاً:-

- حقك أنتي اتنازلتي عنه عشان أطلقك، لو مش عاجبك.. خلاص روحي المحكمة وابقي قابليني هناك بقى، أنا بالنسبة لي كفاية عليا أشوفك في عنيكي الندم على أيامي، أنتي إنسانة نمرودة.. كنتي عايشة ملكة.. بس أنت اللي اخترتي.. لكن بنتي مش هسيبها تتربى على وساختك.. .اطلعي برا.

خرجت من مكتبه بشركته الخاصة بمدينة بورسعيد، ولم تتوقف دموعها بعد، الجميع يُعاقبها على جُرمٍ كانت هي ضحيته.. نعم لقد تمردت على تلك الحياة بحثًا عن السعادة التي لم تذقها معه، لم تفعل شيئًا سوى المطالبة بالسعادة، هل ذلك جُرم؟... حُرم عليها حتى مجرد لقاء وحيدتها، سارت بالشوارع المبتلة تستنشق رائحة الأمطار التي تعشقها.. وتسابق دموع عينيها قطرات السماء، تتذكر ليالي إهماله لها.. تتذكر تلك الليالي التي قضتها بجواره لتشتم عطر أنثى غيرها بجسده وتقارنها بحديثه.

" الشيطان يعظ؟"

هكذا سألت نفسها وهي تسير بشوارع المدينة الساحلية حتى وصلت إلى الموقف الخاص بالتنقل بين المحافظات استعدادًا للعودة خالية الوفاض، جلست بانتظار الحافلة لتهاجمها الذكريات، تهاجمها تلك الليالي التي اغتالت بها نفسها وتغاضت عن كل شيء فقط من أجل استمرار الحياة، والآن وعند تبديل الأدوار لم تجد سوى الإهانة والذل، لم تجد سوى الطرد والحرمان من ابنتها.. والمبرر.. أنا رجل وأنتِ أنثى.

ألم يساوي الله في عقابه بين الرجل والأنثى.. فلمَ يُفرق البشر في الحكم عليهما؟!.. فخيانة الرجل لزوجته هي مجرد نزوة.. أما العكس فجرم لا شفاعة فيه.

"أتوبيس القاهرة ميعاد الساعة 1 وصل يا جماعة"

قطع ذلك النداء حديثها الداخلي لترتاد تلك الحافلة وتستعد للعودة من حيث أتت.

***

هي أجواء يناير الممطرة التي يعشقها البعض ويمقتها البعض بينما لا يبالي الآخرون، هدوء خيم على طُرقات إحدى المناطق الشعبية بالجيزة على غير العادة.. فبدت المحال كأجسادٍ بلا روح وبدت المنازل كأعشاشٍ مُلئت بالطيور لينتقل الضجيج من قلب الطرقات إلى روح المنازل.

"يلا يا سلمى ابوكي مستنيكي تحت"

هكذا صرخت الأم بابنتها ذات الأربعة عشر عامًا والتي لبت النداء على عجلة من أمرها وتوجهت إلى باب المنزل، قبل أن تستوقفها والدتها.. متفحصة إياها بنظرة مدققة وسريعة قبل أن تمد الأم يدها إلى رقبة الابنة لتحكم ربطة الحجاب وتسمح لها بالانصراف.

هبطت "سلمى" الطالبة بالصف الأول الثانوي بفستانها الذي يعود في الأصل لإحدى القريبات الواصل سنها حد العشرين ولكن قد أُجبرت على ارتدائه كما أُجبرت على ارتداء الحجاب، وبمجرد هبوطها الدرج وجدت والدها "سليم" بانتظارها بقامته الطويلة وبنيانه القوي، ممسكًا كعادته بسبحته نحاسية اللون يداعب لحيته البرتقالية بغضب وهو ينظر إلى ساعة يده والتي أشارت إلى الخامسة مساءً، بدآ بالسير تزامنًا مع حديث الوالد بنبرته الغاضبة قائلا:

- أمك ملبساكي طرحة حمرا!!.. حسابها معايا لما اطلعلها

صمتت سلمى وهي تتخيل تلك المشاجرة المعتادة التي ستشتعل بالمنزل عقب عودة والدها، سيتهم والدتها بتشجيعها "سلمى" على العُهر وسيقسم بأغلظ الأيمان أنه لن يسمح بتكرار ذلك أبدا، وربما يتطور الأمر لبعض الزغدات والضربات.. لينتهي الأمر بخلوده إلى النوم وبكاء والدتها المعتاد.

"والله ما أنا عارف لازمتها أيه الدروس اللي بدفع فيها دم قلبي دي.. ما انتي كده كده هتترزعي في البيت.. أنتي عارفة أنا سايب مصلحة بكام عشان أوصلك الدرس؟.. يعني موت وخراب ديار"

قاطع الوالد تخيلاتها بتلك الجملة، لتنظر إليه سلمى وتبدأ في الحديث في محاولة لتلطيف الأجواء مع والدها العابس دائمًا قائلة:-

- يا بابا إحنا ساكنين في آخر فيصل.. والدرس في الشيشيني.. يعني خمس دقايق مشي اعرف اروحه لوحدي.. ومش هعمل حاجة غلط والله.

توقف الوالد ناظرًا إلى ابنته نظرات تطايرت منها الشرر قبل أن يقول:

- لا إله إلا الله.. واسيبك راحة جاية مع البنات الصيع اللي بشوفهم معاكي في الدرس دول، ويمكن بعديها بيومين الاقيكي حطالي أحمر في خلقتك ولا مشيالي مع عيل.. مش كده؟!

التزمت سلمى الصمت بعد فشل محاولتها واستمرا بالسير، لتبدأ بالتفكير عن طريقة تبدأ بها الحديث مرة أخرى عسى أن تجد ممرًا لعرض مطلبها والذي تعلم أن تحقيقه درب من دروب المستحيل ولكنها قررت المحاولة، كانا قد وصلا إلى أسفل المكان المخصص لدرسها، ليتحدث الوالد بنبرة مُحذرة:-

- ساعة بالظبط وهكون مستنيكي تحت، لو خلصتي قبل الساعة متنزليش من السنتر سامعة؟

- حاضر.. بابا كنت عايزة حاجة..

- خير؟؟!.. وياريت متقوليليش فلوس الدرس.

- لا مش فلوس الدرس.. أصل مس التاريخ في المدرسة عاملة رحلة بعد الامتحانات لمجمع الأديان.. وأنا كنت..

- رحلة!!.. رحلة أيه.. هو إحنا بتوع المسخرة دي؟؟.. بلاش كلام فاضي..

صاح الوالد قوي البنية غاضبًا بتلك الجملة غير آبه بوجود زميلات ابنته اللاتي توقفن عن الحديث وسلطن انتباهن إلى حديث الوالد الغاضب وسط صدمة الابنة التي حولها الإحراج إلى قنبلة موقوتة رافضة حديث والدها فانطلقت الكلمات منها كالسلاح الآلي قائلة:-

- مسخرة أيه يا بابا.. دي رحلة تحت إشراف المدرسة.. ومجانًا.. وكل زميلاتي في الفصل طالعين، فيها أيه يعني لما أطلع معاهم.

ارتفعت يد الوالد لتصفع وجنة ابنته بكل قوة وغلظة أمام زميلاتها قبل أن يصيح بها قائلا:-

- دي أخرة تربية أمك فيكي.. طب وحياة أمك ما في نزول مدارس ولا دروس من النهارده.

هم الوالد بسحب ابنته لمغادرة المكان والعودة إلى المنزل عقابًا على تلك الجريمة حسبما يظن هو، إلا أن يد نسائية رقيقة استوقفته فأدار وجهه ليجد امرأة رقيقة الملامح والنظرات، على ما يبدو أنها والدة إحدى زميلات ابنته، نظر إلى ابتسامتها الجذابة التي جعلته يحول تلك التكشيرة المرسومة على وجهه إلى صمت وذهول، وقبل أي رد فعل منه تحدثت تلك المرأة بصوتها العذب:-

- سيبهالي.. أنا بنتي قدها.. وهعرف اتعامل معاها وأفهمها غلطت في أيه..

لم يستطع الوالد النطق بكلمة وهو ينظر إلى تلك المرأة رقيقة الملامح مستمتعًا بعذوبة حديثها، فاكتفى بهزات استسلامية من رأسه مفلتًا يد ابنته، قبل أن يدير وجهه ويستعد للمغادرة لترتسم على وجهه ابتسامة الإعجاب والذهول.

صعدت سلمى إلى مقر الدرس بعد إنقاذ المرأة لها، ولكنها وإن كانت حاضرة بجسدها إلا أن عقلها كان بملكوت آخر، لم يكن الخوف من والدها هو المسيطر على تفكيرها كما هي العادة، ولكنه كان الكره.. كره الذات، كره والدها.. وكره الحياة عموما، تنظر بعينين تملأهما الدموع المحتبسة إلى زميلاتها.. تشعر بأن كل منهن تسخر منها بداخلها.. فإذا رأت فتاتين تتبادلان أطراف الحديث والضحك.. تشعر أنها محور

السخرية بحديثهما، الغضب المكتوم يملأ جنبات قلبها الصغير، أرادت أن تحطم رؤوس كل من شاهدها بذلك الموقف.. أرادت أن تفجر العالم بأسره، هبت من مقعدها فجأة وقررت مغادرة الحصة متجاهلة نداءات أستاذتها وسط ذهول الطالبات..

أما الوالد فقد بدأ بالسير سالكًا بعض الطرق الجانبية والتي خلت جنباتها من السائرين خصوصًا مع زيادة وطأة الأمطار، فاضطر "سليم " إلى الدخول لبوابة إحدى العمارات الشعبية للاحتماء من المطر قبل أن يُحدث نفسه بنبرة غاضبة..

" ملعون أبو السكر"

هكذا عبر عن حاجته المُلحة للتبول، فنظر يمينًا ويسارًا وكأنه يتأكد من خلو ساحة العمارة واتجه إلى أحد الأركان وبدأ بفعلته.. قبل أن تنمو إلى أذنيه صوت زمجرة مريبة.. فالتفت يمينًا ويسارًا ولكنه لم يجد شيئا، انتهى من فعلته وبدأ بإعادة ترتيب ملابسه.. وما زالت تلك الزمجرة بتزايد مستمر.. وفجأة.. امتد ساعد ضخم من خلفه ليعتصر عنقه بكل قوة.. حاول التملص من تلك القبضة بكل الطرق لكن دون جدوى، لم يستطع حتى رؤية خانقه.. فجثا على ركبتيه وبدأت مقلتيه في الابيضاض من بعد سواد.. حتى لفظ أنفاسه الأخيرة..

***

وضع أصابعه الغليظة على محبس المياه.. وبدأ بإغلاقه تدريجيًا قبل أن يمسك بمنشفته البرتقالية ويبدأ بتجفيف جسده الضخم من قطرات المياه، وقف بمرآته مستطلعًا تلك التجاعيد التي بدأت في شق طريقها بوجهه المكتظ.. قبل أن يداعب ما بقى من خصلات شعره الخفيفة والتي طالتها يد الشيب، خرج من دورة المياه متجها إلى غرفة نومه.. ليجد زوجته بالانتظار، نظر إليها بعين رجل المباحث المخضرم

متفحصًا ابتسامتها.. التي عادةً ما تسبق طلبًا صعب المنال.. فبادر بالحديث مغلقًا عليها الطريق قائلاً:-

- يااااه يا هدى.. الواحد مهدود.. والصداع هيفرتك دماغي..

ألقى بجسده الضخم بجوارها على الفراش لتقترب منه مصدرة تلك الهمهمات التي تدل على نيتها على التحدث.. حتى قررت أخيرًا البوح بما تنتوي قوله قائلة:-

- أيمن.. بقالنا كتير مخرجناش مع بعض.. تيجي نخرج النهارده؟!

هكذا تحدثت (هدى) وهي تنظر إلى زوجها المستلقي بجوارها على الفراش، قبل أن ينظر إليها شزرًا هازًا رأسه يمينًا ويسارًا ردًا على سؤالها، لتتحول ابتسامة الأمل التي كست شفتيها إلى خيبة ويأس، تنهدت في محاولة لإزاحة اليأس وأعادت تلك الابتسامة وإن كانت مصطنعة تلك المرة لتتحدث قائلة:-

- طيب بلاش نخرج.. تعالى أعملك عشا محترم ونعد نتفرج على فيلم أجنبي من اللي بتحبهم وندردش حبة مع بعض.. أيه رأيك؟

زفر مستنكرًا محاولاتها، قبل أن يجلس نصف الجلسة على سريره قائلاً:-

- من ناحية العشا.. فأنتِ هتعمليه كده كده.. أما بقى الفيلم والدردشة ماوعدكيش.

- ما هو أنا بصراحة زهقانة.

نظر إليها وهو يعض على شفته السفلى غيظًا قبل أن يتحدث محاولًا التمسك بأعصابه قائلاً:-

- مشكلتك يا هدى أنك ناسية أني ظابط مباحث.. أنتي مانتيش فاهمة اللي أنا فيه.. الناس كلها بقت بتقتل وبتسرق تقريبًا.. الكام يوم بتوع الثورة والناس اللي خرجت من السجون مخليين الوضع الأمني في منتهى الخطورة.. وكل ده فوق دماغ المباحث.

- ماتتحججش بالشغل يا أيمن أنت عالحال ده بقالك فوق السنة.. يا أيمن أنا برده ليا حق عليك.. أنت متعرفش أي حاجة عني حتى كلامك عن شغلك اللي كنت مصدعني بيه معنتش بتتكلمه.

- هو مفيش حاجة عجباكي؟!.. اتكلم في الشغل ابقى مصدعك.. اسكت ابقى مبتكلمش.

قطع صوت رنين هاتفه تلك المشاجرة المعتادة ليهب واقفًا من على سريره بعدما أجاب على الاتصال الوارد قائلاً:-

"فين؟؟.. أنا جاي حالا"

بدأ بارتداء ملابسه سريعًا وأتم ذلك في المصعد، تاركًا زوجته تحترق بنيران الإهمال لم يكلف نفسه حتى بإنهاء الحوار، ولكنه تجاهل وجودها.. هكذا بدا الأمر لها، أما المقدم أيمن ظابط المباحث المعروف عنه حبه الدائم لعمله بالمباحث الجنائية بمديرية أمن الجيزة فقد ركب سيارته ذات الطراز القديم لاعنًا يوم أن فكر بالزواج، معترضًا على سذاجة زوجته التي لا تقدر حجم وطبيعة عمله أدار محرك سيارته وهو يضغط أزرار هاتفه.. قبل أن يضع الهاتف على أذنه انتظارًا للرد الذي لم يتأخر كثيرًا ليبدأ أيمن بالحديث قائلاً:-

- هشام باشا.. فيه جريمة قتل حصلت في الشيشيني "منطقة بفيصل".. أنا في السكة معاليك.

"كان من الأفضل لي أن ارتاد كلية الفنون الجميلة مثلاً، أو ربما أحاول إلقاء الشعر أو تأليف الروايات لتصبح أكبر همومي فكرة عمل جديد"

هكذا حدث العقيد "هشام عبد ربه.. مباحث الجيزة" نفسه مطلقًا سيلًا من اللعنات على يوم قبوله بكلية الشرطة، وذلك بعد تلقيه لمكالمة أيمن، فأعاد ترتيب ملابسه التي لم يكن قد بدلها بعد قبل أن يزيد على تلك الملابس ذلك البالطو الأسود الثقيل، هبط من منزله على وجه السرعة وركب سيارته واتجه إلى مسرح الجريمة متحديًا لسعات البرد الشديدة والأمطار الغزيرة التي جعلت شوارع المدينة شبه خاوية.

نصف ساعة فصلته عن الوصول لموقع الحادث بأحد الشوارع الجانبية بمنطقة "الشيشيني".. ليجد تواجدا أمنيا وتكدسا من الأهالي اعتاد عليه بالآونة الأخيرة، هبط من سيارته مجيبًا التحيات العسكرية المنهالة عليه من كل جانب حتى هرول عليه المقدم "أيمن" بخطوات مسرعة جعلت من بطنه الكبير يتقافز إلى أعلى وأسفل لاسيما مع ارتدائه لتلك القمصان الضيقة التي لا تناسب جسده الضخم، أدى التحية العسكرية للعقيد هشام وبدأ الأخير الحديث قائلاً:-

- أيه الأخبار يا أيمن؟!

- المجني عليه (سليم سالم) 35 سنة ساكن في الكوم الأخضر(منطقة بآخر فيصل).. مقاول.

أخرج العقيد علبة سجائره من جيب البالطو الذي زاده وقارًا وهيبة مشعلًا إحدى سجائره قبل أن يتساءل قائلاً:-

- سرقة؟!

- لا يا فندم، كل ممتلكات القتيل.. فلوسه.. وتليفونه معاه زي ما هم.. الملاحظات المبدأية بتشير أن القتل تم عن طريق الخنق.

أضاق العقيد هشام حدقتي عينيه وبدأ بالتحرك متخطيًا رجال البحث الجنائي العاملين بمسرح الجريمة حتى وصل إلى الجثة التي لا تزال بمكانها انتظارًا للانتهاء من رفع البصمات والأدلة، جثا على ركبتيه ليرفع عنها الغطاء.. ليجد المجني عليه وقد جحظت عيناه.. وانفتح فمه عن أخره ليتدلى لسانه خارجا.

مر "هشام" بعينيه متابعًا السحجات الموجودة على عنق القتيل قبل أن يلتفت إلى أيمن متسائلاً:-

- مين اللي بلغ بوقوع الجريمة؟

- أحد سكان العمارة يافندم.

سمح هشام لقامته الطويلة بالانتصاب مرة أخرى.. قبل أن يلتفت إلى أيمن قائلاً:-

- اتكلمت معاه بنفسك؟

- حصل سعادتك.. في الحقيقة كلامه مقنع ومنطقي.. واضح أن الجاني استغل هطول الأمطار الكثيف وخلو الشارع من المارة وألقى بالجثمان هنا.

داعب هشام خصلات شاربه السميك وأعاد النظر إلى الجثمان متفحصًا ضخامته ليهز رأسه مختلفًا مع افتراض صديقه المقدم قبل أن يقول:-

- واشمعنى في العمارة دي؟.. كان ممكن يتخلص من الجثة في مسطح مائي مثلًا أو في مكان مهجور.

مط أيمن شفتيه تفاعلًا مع تساؤل العقيد، أما الأخير فقد مر بعينيه متجولًا بمسرح الجريمة حتى توقفت عيناه عند ذلك اللمعان الصادر من شيء ملقى على بعد ليس بكبير عن جسد الضحية، فاقترب ببطء ليجد "سوارا" ذهبيا.. أخرج منديلًا وجثا على ركبتيه ممسكًا إياه مدققًا بتفاصيله الدالة على ثمنه الباهظ.. ليلتفت إلى أيمن قائلاً:-

- عايز تقرير وافي عن علاقات المجني عليه وأسباب تواجده بالمنطقة يكون عندي بأسرع ما يمكن.. مفهوم يا أيمن؟

أيمن:- عُلم وينفذ يا فندم..

***

بأيادٍ مرتعشة أمسكت بقلمها واستعدت لكتابة أولى الكلمات بورقتها البيضاء.. فاتجهت بسن القلم إلى أقصى يمين الورقة لتكتب تاريخ اليوم.. أعقبته برسالتها:-

الأحد.. 4 يناير 2012..

إلى الصديقات المنتميات إلى معشر النساء.. تحية طيبة.. أما بعد:-

أنا اسمي.. أعتقد أن الاسم لن يغير من الأمر شيئا.. قد يكون سمر، مي، عائشة،.. أو غيرها من الأسماء، ولكن إذا كان من الضروري ذكر الاسم، فليكن مستعارا.. يمكنكم مناداتي بـ (رابونزل)

تلك.. الشخصية الكارتونية المفضلة إلي، أو لنقل الأقرب مني بالواقع، فهي وإن سُلبت حريتها وقضت سنوات ليست بقليلة محرومة من مجرد الهبوط من ذلك المنزل المعلق، فأنا لست أفضل منها حالا.. فأنا الحبيسة بداخل ذلك السجن العملاق المسمى بـ (أنثى).

أقيم أنا وأسرتي بـ.. أعتقد أيضًا أن المكان لن يغير من الأمر شيئا، قد يكون مصر، السعودية، اليمن، أو حتى إيران.. أو أي من تلك البلاد التي يطلق عليها.. (شرقية).. نعم أنا (أنثى شرقية)..

كنت أود أن أوضح لمن يهمه الأمر حجم أسفي ومأساتي كوني أنثى شرقية من أسرة متوسطة الحال، ولكن عذرًا فقط ربع ساعة تفصلني عن الهبوط من المنزل، وبالطبع أفضل أن أقضي تلك الدقائق لأقف أمام المرآة فأتأمل هيئتي كما أريدها أنا وليس كما يريدون هم، أتنقل بين ذلك الرداء وتلك التنورة بكل أريحية.. دون أن أخاف نظرة والدي المرعبة أو تعليق أخي السخيف أو صرخة أمي المبالغ فيها قبل سماعي لذلك السؤال التقليدي المصحوب بأمر غير قابل للنقاش باستبدال ملابسي.

"أنتي هتنزلي كده؟!!"

كم أكره ذلك السؤال، كم أكره تلك اللحظة التي لا أقوى فيها على الصراخ بالرد المناسب.

"أيوه هنزل كده.."

كم أتمنى أن أصرخ بتلك الجملة وبكل جرأة كما أفعل الآن.. لأتمرد على الجميع، كم أتمنى أن أخرج إلى الطرقات بذلك الرداء الذي أرتديه الآن لأرى نظرات الحقد بعيون زميلاتي اللاتي اعتدن السخرية من هيئتي وملبسي.. وأرى نظرات الانبهار والإعجاب بعيني بذلك الوسيم الذي شغفني حبه.. أراه جالسًا بقميصه المفتوح الكاشف عن عضلات مفتولة.. تدوي ضحكاته بالأنحاء كعادته حتى التقت أعيننا.. أتخيل الشهقة الصامتة الناتجة عن انبهاره بي.. أرى سهم كيوبيد يخترق صدره العاري ليهب واقفًا مقسمًا أنني أجمل ما رأت عيناه ويقترب مني متوسلًا لنيل صك الغرام.. قبل أن يصيغ أجمل أبيات الشعر

بخصلات شعري المنسابة والتي نالت حريتها أخيرًا بعدما أُجبرت على تكفينه منذ التاسعة من عمري.

"الحجاب فرض يا بنتي"

هكذا جاء رد والدي بعدما اعترتني الشجاعة ذات يوم وجهرت برغبتي بنزع الحجاب.. كنت على وشك الالتحاق بالمرحلة الإعدادية.. فانهالت الاتهامات والظنون حتى وصل الأمر إلى القطيعة لتزداد وحدتي.. وبعدما هدأ الجميع جاء والدي ليخبرني بأن الحجاب فرض؟!.. وبالطبع لم أمتلك شجاعة الرد.

أوافقك الرأي يا والدي العزيز، فأنا شخصيًا أؤمن بأن الحجاب فرض واجب، ولكن هل يزداد أهمية عن الصلاة؟؟!!

إذا صلى العبد بالإجبار إطاعةً لقرار مخلوق أو خوفًا من كلام الناس أو حتى كما جرت العادة.. هل سيتقبل الله صلاته؟؟.. هل سيثيبه عليها؟؟!.. هذا هو حالي مع الحجاب.

خمس دقائق تفصلني عن انتهاء تخيلاتي، خمس دقائق تفصلني عن العودة إلى واقعي الأليم.. سأعود إلى ملابسي الفضفاضة (زيادة عن اللزوم) والتي تشبه "الشوال"، سأعود إلى الحجاب الذي أرتديه رغمًا عن إرادتي، سأمسح كل مساحيق التجميل التي قد سرقتها من غرفة والدتي، سأعود إلى واقعي.. فأحقد أنا على زميلاتي وأستمر بمراقبة زميلي وبالتأكيد لن يشعر وإن شعر فلن يهتم.. سأعود إلى الأنثى الشرقية بالأسرة المتوسطة..

سأعود إلى رابونزل..

أنهت رابونزل رسالتها.. وارتدت ذلك الرداء الفضفاض المصحوب بالخمار.. قبل أن تضع رسالتها بظرفٍ ندر استخدامه بيومنا هذا،

فتحت باب شقتها لتجد ذلك الجار العجوز المتطفل "نشأت" والمقيم بالشقة المواجهة لشقتها جالسًا بغرفة الاستقبال الخاصة بمنزله فاتحًا بابه على مصراعيه ليتابع كل تفصيلة تحدث، وجهت أنظارها إلى الأرض وهي تلعنه وتلعن تطفله الدائم على كل السكان بسرها لاسيما بعدما راقب خطواتها بعينيه.. قبل أن تبدأ بهبوط الدرج.

سارت تلك المراهقة بالشوارع المبتلة والمحملة برائحة الأمطار الذكية، تستمتع برفع الرياح لذيل ثوبها الطويل.. تتجول بعينيها بين المارة.. فتحسد تلك الفتاة المطلقة لعنان شعرها.. وتقسم أنها لو ارتدت مثلما ترتدي تلك الأخرى لصارت أجمل منها وتتأمل مساحيق التجميل الموضوعة على وجه كل فتاة، استمرت بالسير حتى وصلت إلى منزل إحدى صديقاتها فوضعت رسالتها بالصندوق الخشبي الخاص بالرسائل والمجاور لباب المنزل، قبل أن تهبط الدرج وتنصرف.

***

بالتاسعة صباحًا.. جلس العقيد هشام عبد ربه بمكتبه بمديرية أمن الجيزة يتحدى هجمات النوم القاسية لاسيما بعد تلك الليلة الطويلة التي قضاها بمتابعة التحريات عن "سليم" والتي انتهت أخيرًا بوصول ملف علاقات المجني عليه، بدأ بتصفح الملف ليجد علاقات القتيل عادية للغاية حتى أن علاقات العداوة لا ترتقي إلى سبب للقتل أغلق الملف وأراح جسده على كرسيه الجلدي قبل أن يطرق باب مكتبه المقدم أيمن.. فأشار له هشام بالجلوس.. ليبدأ المقدم الحديث قائلاً:-

- زي ما حضرتك شوفت.. مفيش أي عداوة شديدة مع أي حد.. كلها علاقات عادية.

اعتدل هشام بجلسته قبل أن يقول:-

- تمام.. لكن برده مش عايزك تستبعد العداوات البسيطة دي.. موجة العنف اللي الشعب عاش فيها من ساعة يناير لحد النهارده مش قليلة.. شعور البشر أن الموت شيء عادي وأن حياة الإنسان مالهاش تمن ممكن يؤدي للقتل لأتفه الأسباب.

- فعلًا يا هشام باشا.. من ساعة الثورة والجرايم عمالة بتزيد.. إحنا مكملناش سنة وعدد جرايم القتل والسرقات المقيدة ضد مجهول مهولة.. كأن الشعب اتسعر.. ده اللي خدناه من الثورة والقرف.

- العيب مش في الثورة يا أيمن.. اللي بيحصل شيء طبيعي جدًا.. واحد طول عمره محروم من الأكل.. وفجأة حطيت قدامه كل المشتهيات.. هيجيله تلبك معوي من كتر الأكل.. خلينا في المهم.. أيه جديدك؟

- تقرير الطب الشرعي أكد أن الوفاة حصلت قبل البلاغ بحوالي 15 دقيقة.. وده معناه أن الجريمة حصلت في مدخل العمارة أو بأقصى تقدير أمام العمارة، القتيل اتعرض للخنق عن طريق قبضة الساعد بطريقة قوية جدًا وده بيدل أن الجاني قوي جسمانيًا لأن (سليم) كان ضخم التكوين ورغم كده ملحقش يقاوم.

أضاق العقيد حدقتي عينيه وبدأ بإشعال سيجارة.. قبل أن يتساءل:-

- وأسباب وجود سليم بالمنطقة دي؟

- التحريات أثبتت تردد سليم على نفس المنطقة كل يوم أحد وأربع، وده لأن بنته بتاخد درس فرنساوي هناك، إمبارح سليم وصل بنته

الدرس.. ونشبت بينه وبينها مشادة كبيرة وصلت لحد أنه ضربها في وسط الشارع والمارة خلصوها من أيده بالعافية.

- والبنت؟

- البنت حضرت حوالي خمس دقايق من الدرس وبعدها سابت المكان وجريت حتى من غير ما تستأذن أستاذتها.. غابت في حدود الساعتين.. وبعدها رجعت بيتها حسب أقوال والدتها.

هب هشام من على مكتبه متذكرًا ذلك السوار النسائي الذي عثر عليه بمسرح الحادث فأخذ يداعب خصلات شاربه وهو يربط معلومات التحريات بعقله.. قبل أن يقاطعه أيمن قائلاً:-

- اللي بتفكر فيه مستحيل يا هشام.. البنت في أولى ثانوي وجسمها ضئيل جدًا.. فلو افترضنا أنها هي الجانية.. إزاي هتقتل حد بالتكوين الجسماني ده وبالطريقة دي بمنتهى السهولة وبدون مقاومة.

هزات من رأس العقيد حملت الاقتناع بطياتها، قبل أن ينظر إلى صديقه ويبدأ بالحديث:-

- طب ومراته.. معلوماتك أيه عنها؟

مد أيمن يده ممسكًا بعلبة سجائر صديقه الموضوعة على المكتب ليشعل إحداها ويبدأ بالحديث وهو يزفر أولى الأنفاس لتخرج الأحرف مختلطة بالدخان قائلاً:-

- التحريات كلها بتقول إنها ست محترمة جدًا وما بتنزلش من البيت غير بظروفها.. وده لأن جوزها الله يرحمه بقى كان شديد جدًا.. وكان دائم الشجار معها وضربها.

قاطع هشام حديثه قائلاً:-

والبصمات يا أيمن؟!

هز المقدم رأسه مستنكرًا قبل أن يزفر بضيق قائلاً:-

- للأسف العبث اللي حصل بمسرح الجريمة قبل وصول رجالتنا من طرف الأهالي أفسد معظم البصمات سواء الخاصة بالأيدين أو حتى بصمات الأقدام اللي حصلت نتيجة الأمطار.

مسح هشام وجهه بخيبة أمل، إلا أن المقدم أيمن أكمل بما أعاد إليه الأمل فتحدث قائلاً:-

- بس الإسورة اللي حضرتك لاقيتها.. كانت عليها بصمات واضحة.. وغير مطابقة لأي من سكان العمارة.

انطلقت نظرات العقيد المليئة بالحماس.. قبل أن يعود للجلوس على كرسيه متحدثًا بلهجة صارمة:-

عايز تحريات أكتر عن علاقات سليم النسائية وفي أسرع وقت.. وأعمل حسابك على بالليل هنروح بيت سليم.. عايز أشوف مراته وبنته.

- حاضر يا افندم.. فيه ملاحظة كمان مهمة.. (سليم) أساسًا من سوهاج.. فكرك ممكن يكون تار؟

أشعل هشام سيجارة وهو يبتسم لأيمن ابتسامة تنم عن الخبرة والثقة قبل أن يتحدث قائلاً:-

- أنا من أسيوط يا أيمن.. الصعيدي ما يغدرش حتى وهو بياخد بتاره.. لازم يبقى وشه في وش اللي هيقتله.. الصعيدي ميقتلش من الضهر.

هز أيمن رأسه موافقةً على كلام زميله الأكثر خبرة والأعلى رتبة، قبل أن يهب مستأذنًا بالانصراف..

***

وقفت والشرود يعتصر عينيها الملبدة بالهموم بالثامنة صباحا، تمسك بهاتفها دون أن ينتابها ملل تعاود الاتصال مرة تلو الأخرى.. والنتيجة واحدة (لا يوجد رد).. حتى تمكن الغيظ منها فزفرت قبل أن تكز على أسنانها غضبًا وتلقي بهاتفها على إحدى أرفف الصيدلية وكأنها تُلقي بمن تسبب بذلك الغضب إلى الجحيم، رفعت (هدى) عينيها لتجد ذلك الشاب العشريني الوسيم ذا العضلات المفتولة (كريم) واقفًا أمامها متابعًا أفعالها شاهرًا تلك الابتسامة الجذابة التي اعتاد مطاردتها بها، فنظرت له تلك النظرة المُحذرة من الاقتراب وهي ترفع حاجبها الأيسر قبل أن تتساءل قائلة:-

- نعم؟!

- صباح الخير يا دكتور.. والنبي كنت عايز المسكن ده.

مد يده بورقة لتمسكها (هدى) العابسة وتبدأ بالنظر إلى أحد الأرفف العليا بالصيدلية قبل أن تتحرك تجاهه (الرف) وتبدأ بالوقوف على أصابع قدميها في محاولة للوصول إلى ذلك الدواء معلنة عن قوامٍ مائل إلى الامتلاء الأنثوي الذي يعجز أعتى الرجال عن مقاومته.. مرات ومرات من المحاولة نظرًا لقصر قامتها، سهت خلال تلك المحاولات عن ارتدائها لتلك التنورة الضيقة والتي تصف مؤخرتها المكتظة وصفًا مجسمًا.. وأخيرًا نجحت في الوصول إليه قبل أن تستدير لتجد ذلك الشاب قد تصبب عرقًا رغم برودة الجو وبعينيه تشتعل نيران الشهوة الظاهرة حتى أنه أخذ يداعب خصلات لحيته البنية الخفيفة بعصبية شديدة، شعرت بحرارة أنفاسه رغم المسافة

الفاصلة بينهما.. ومدت له تلك الحقيبة البلاستيكية والتي تحتوي على ما طلبه من دواء، تملك الارتباك منها نظرًا لنظراته التي لم تنته بعد، ولكنه كان ارتباكا مختلطًا بالسعادة.. سعادة نتجت عن شعورها بأنها ما زالت أنثى، ابتلع (كريم) ريقه بصعوبة بالغة وهم بإعطائها كارتًا شخصيًا لمتجره حديث التأسيس والمخصص لبيع مستلزمات التجميل النسائية، قبل أن يبدأ بالحديث:-

- أنا فاتح المحل بقالي شهرين.. بجيلك تقريبًا يوميًا.. مش ناوية مرة تشرفيني بقى؟!

هزت رأسها وما زال العبوس عنوانًا لها قبل أن تجيبه قائلة:-

- إن شاء الله!

عادت ابتسامته الجذابة لتعلن عن صفين لامعين من الأسنان البيضاء قبل أن يمد يده بالنقود دون أن يرفع عينيه عنها.. حتى عندما هم بالمغادرة مستخدمًا خطوات بطيئة تعمد الالتفات إليها وكأنه يودع ذلك الجسد متفجر الأنوثة.

اهتز هاتفها معلنًا عن وصول رسالة نصية.. فهبت واللهفة عنوان خطواتها لتمسك بالهاتف.. لتجد تلك الرسالة التي أججت نيران الغضب بداخلها.. فقد وجدت زوجها (أيمن) وقد أرسل لها رسالة مقتضبة قائلاً:-

"أظن يعني أنا في الشغل مش بلعب.. كفاية اتصالات بقى.. لما أخلص هبقى أكلمك"

***

الخامسة عصرًا بمنزل المرحوم (سليم سالم) اجتمعت النساء المكتسيات بالسواد القادمات منهن من الصعيد أو الجيران بنفس المنطقة ليشاطرن الزوجة والابنة الوحيدة (سلمى) أحزانهما.

وما بين أصوات النحيب والحزن.. جلست سلمى بأعين باردة وملامح جامدة.. وهي لا تفهم ماهية شعورها، تعتريها الأسئلة والظنون المختلطة.

فمن الآن وصاعدًا لن ترى والدها مرة أخرى.. ولكن هل تحزن؟

أم الأحرى بها أن يطمئن قلبها.. فمن الآن وصاعدًا لن ترى والدتها تبكي بحرقة نتيجة نهره أو ضربه لها، ولن يتحكم فيها ولن تتحول حياتها إلى جحيم يومي.

ولكن.. هو والدها.. فمن الطبيعي أن يعتريها الحزن.. من الطبيعي أن يتمزق قلبها قهرًا وتنهمر دموعها، لمَ لا تشعر بذلك؟.. تبحث عن الحزن بداخل قلبها، تحاول أن تتذكر إحدى مواقف والدها الحنونة، تحاول أن تتذكر يومًا واحدًا وجدت بين يديه أمنًا أو حنانًا أو أي شيء غير الخوف والرهبة، ولكن دون جدوى.. انحصرت صورته بذاكرتها على ذلك الوجه العابس وتلك الأعين الغاضبة وهاتين اليدين الغليظتين كفؤاده واللتين طالما طالا وجنتيها ضربًا.. فعلام تبكي؟

تتابع بكاء والدتها باستغراب شديد.. لمَ تبكي امرأة على فراق زوجًا لم تر معه يومًا هانئًا؟ لم تر معه إلا السب والنهر وإلقاء التهم بسبب ودون سبب، على العموم حتى وإن كان المستقبل غامضا بعد فقدان مصدر الإنفاق الوحيد.. ولكنه لن يكون أسوأ من أمس.. هكذا حدثت نفسها وهي تحتفظ بأعينها الباردة الخالية من أي دموع.

وأثناء ذلك ولج إلى منزل القتيل رجلان تابعتهما الصغيرة بعينيها قاتمتي السواد، تعلم تمامًا سبب تواجدهما هنا لاسيما بعدما استجوبها أحدهما ذو الجسد البدين مساء الأمس، أما الآخر فقد اكتفى بوضع يديه بجيب بنطاله، مثبتًا ناظريه عليها.. شعرت بالتوتر باقترابهما منها.. حتى أخبر المقدم والدتها بحاجته للحديث معها.. تابعت أسئلة المقدم المكررة وإجابات الأم التي لم تشمل أي مفيد، أما الآخر فقد استمر بنظراته إليها، حاولت قدر الإمكان رسم علامات التأثر والحزن على ملامحها، ولكنها فشلت في ذلك، ازداد توترها وزاغت عيناها يمينًا ويسارًا فشعرت وكأن ذلك الرجل ذو الجسد الرياضي قد استطاع الوصول إلى ابتسامتها التي وارتها بمحاولة تقمص الحزن.

أنهى المقدم أسئلته وبادر بالانصراف قبل أن يلفت نظره ثبات صديقه العقيد وكأنه قد فقد قدرته على التحرك.

- هشام باشا.. مش يلا بينا؟

أومأ هشام رأسه ببطء وهما كلاهما بالانصراف، صمت لم يدم طويلًا قطعه العقيد هشام بأعين شاردة رغم قيادته لسيارته متسائلاً:-

- طب مش يمكن سليم متجوز واحدة تانية في السر؟

نظر له أيمن باستغراب قبل أن يجيب:-

- هو أنت ليه حاطط في دماغك علاقاته النسائية بس؟ كل ده عشان الإسورة؟

أبطأ العقيد من سرعة السيارة تدريجيا حتى توقف موازيًا لأحد الأرصفة قبل أن ينظر إلى صديقه ويبدأ الحديث:-

- أنا الفجر روحت مسرح الجريمة تاني.

عقد أيمن حاجبيه ذهولًا وهم بالاستفسار ولكن هشام وفر عليه ذلك باستكمال الحديث قائلاً:-

- أنا بقالي 12 سنة في المباحث الجنائية، خدمت في الصعيد والإسماعيلية والشرقية والفيوم.. أنت يادوب تعرفني مكملناش سنتين يا أيمن، جايز اللي هقولهولك ده جنون.. بس صدقني دي الحقيقة.

أخرج هشام علبة سجائره وأشعل لفافة منها زافرًا أولى أنفاسها قبل أن يقول:-

- في جرائم القتل.. مسرح الجريمة بيكون العنصر الأهم.. هو الشاهد الأول والأخير اللي شاف كل حاجة ويقدر يحكيها، اتعودت لما جريمة تحيرني أروح لمسرح الجريمة لوحدي.. وهو بيدلني.

رفع أيمن حاجبيه ذهولًا مما سمعه، وبدأ بالتساؤل:

- ويا ترى مسرح الجريمة اللي قالك دور على ست؟

أراح العقيد رأسه على مقعد السيارة متنهداً، قبل أن يقول:-

- الستات يا أيمن ليهم لمستهم في كل حاجة، حتى في الجرايم.. طب تعرف أن في معظم جرايم القتل اللي قامت بيها الستات أيه أول حاجة بيعملوها بعد الجريمة؟

- إيه؟

ابتسم العقيد قبل أن يجيب:-

- بينضفوا البيت من آثار الدم، مش إخفاءً للأدلة على قد ما هو تعود، على عكس الرجالة.. دايمًا مسرح الجريمة بيكون مليان بالفوضى والهرجلة، وامبارح لما روحت العمارة تاني.. فيه هاجس أكدلي أن الموقع فيه لمسة أنثوية.. ده طبعًا غير الإسورة.

الفصل الثاني.. فانتين

بعد مرور يومين..

فتحت باب غرفة مكتبها الصغيرة وولجت إليها تزامنًا مع دقات ساعة الحائط الصغيرة المُعلقة على أحد الجدران وهي تعلن عن التاسعة صباحا، اتجهت إلى معطفها الأبيض المماثل للون حجابها لترتديه وخرجت من مكتبها لتمر بقوامها الطويل ذي الخصر المكتظ قليلًا بطرقات قسم النساء بأحد المستشفيات النفسية الخاصة بالعجوزة، ومع أنها لم تتجاوز شهرها الأول بذلك المشفى إلا أنها قد حفظت الطرق المؤدية من وإلى العنابر عن ظهر قلب رغم اتساعها، فذلك العنبر المجاور لمكتبها هو الخاص بالمدمنات وهو الأقل رواجًا بالمشفى.. أما ذلك العنبر القابع بأخر الطرقة فهو الخاص بالحالات النفسية شديدة الخطورة من حيث قابلية الإيذاء للغير أو للنفس.. أما ذلك العنبر الذي تقف أمام بابه الكبير الآن فهو الخاص بحالات الاكتئاب العارضة وبعض حالات الهلوسة من الدرجة الأولى والغير مقترنة بخطورة الإيذاء.. ونظرًا لحداثة انضمامها لذلك المشفى فقد تم إلحاقها بذلك القسم للعمل تحت إشراف الأطباء الأكثر خبرة، استهلت يومها كالعادة بالدخول إلى القسم والوقوف خلف الحاجز الزجاجي الشفاف الفاصل بينها وبين أسِرة المرضى تمر بعينيها البنيتين بين مريضة والأخرى فمنهن من تحدثت إليها ومنهن من رفضت ومنهن من لم يسعفها الوقت بعد للالتقاء بها فاكتفت بقراءة بعض التقارير عنها.. والسبب لكل تلك المحاولات هو معرفة أسباب تواجدهن بالمشفى، وجدت وبرغم اختلاف الظروف والمراحل العمرية بين المريضات أن المتهم دائمًا رجل، فإما كان زوجًا لم يصن عِشرة دامت طويلًا فأطلق العنان لتصابي بعد شيبٍ ليفتضح أمره بمرور الأيام فلم

تتحمل زوجته شدة الصدمة.. فصارت طريحة ذلك العنبر بعدما التهمها الاكتئاب، أو كان حبيبًا فرش صخور الواقع بوروده ووعوده ثم اختفى دون سببٍ واضح تاركًا تلك الأنثى التي نسجت من وعوده قصورًا بالخيال تبكي على أطلال ما هدم أو غير ذلك من أصناف أشباه الرجال، فبرغم اختلاف النساء المتواجدات بذلك العنبر فقد اتفقت الغالبية العظمى منهن على توجيه أصابع الاتهام إلى ذكر ما.

"دكتورة عُلا.. دكتور شُهدي عايزك في مكتبه حالاً"

قطع ذلك الصوت تأملها فالتفتت لتجد كبيرة الممرضات هي مصدر تلك الجملة، فأومأت الطبيبة رأسها ببطء.. لحظات قليلة مضت فصلت "عُلا" عن الخروج من العنبر سامحة لقدميها بالسير بطرقات القسم متوجهة إلى غرفة مكتب رئيسه.. وكعادتها وجهت أنظارها إلى الأرض معلنة عن شخصية اتهمها بعضهم بالغرور.. بينما فسر البعض الآخر تصرفاتها بالخجل والانطواء، طرقت باب الغرفة طرقات رقيقة ليأتيها الرد سريعًا من صاحب الصوت الجهوري والصلعة الخمرية المحاطة بتلين من القش الرمادي قائلاً:-

"ادخل"

دلفت إلى غرفة مكتب رئيس القسم ليقابلها بابتسامته الحانية دائمًا رغم ملامحه الغليظة والتي اكتسبها من أصوله الصعيدية، أشار لها بيده سامحًا لها بالجلوس وهو ما فعلته فورًا قبل أن يبدأ الحديث متسلحًا بابتسامته:-

- طب بذمتك فيه دكتورة نفسية تبقى في وسط المرضى بالتكشيرة دي؟! ده أنتي كده بتزودي اكتئابهم.

زاغت عيناها يمينًا ويسارًا قبل أن تجيب بصوتها الواهن:-

- يا دكتور شُهدي، أنا لما طلبت منك تساعدني أشتغل في الكارير بتاعي مكانش قصدي الطب النفسي.. أنا اه دكتورة نفسية.. بس متخصصة في علم الجريمة.

وقف دكتور شُهدي وما زال محتفظًا بابتسامته، واستدار حول مكتبه الخشبي ليجلس بمواجهة عُلا قبل أن يقول:-

- شوفي يا عُلا، إحساسك أني مجاملك بوجودك في المستشفى هنا ده مش صح.. أنا صحيح والدك الله يرحمه فضله عليا وكنت بعتبره أب ليا، لكن أنا هنا مدير المستشفى واستحالة أرد جميل على حساب سمعتي كطبيب أو مصلحة المرضى.

- أيوه يا دكتور.. بس أنا..

لم يمهلها الوقت لمتابعة جملتها فقاطعها قائلاً:-

- عارف يا عُلا، اوعي تنسي اني أنا شخصيًا اللي أشرفت على رسالتك العلمية، وعارف قد أيه أنتي متميزة في مجال الجريمة.

صمتت وحولت ناظريها إلى الأرض وكأنها تحدثها بما لا تستطيع قوله، ليستكمل دكتور شُهدي حديثه قائلاً:-

- عالعموم يا ستي حاضر.. أوعدك أن أي قضية تناسب رسالتك يتم تحويلها ليا مش هشتغل فيها من غيرك.

انفرجت أساريرها وفتحت فمها عن آخره سعادةً بذلك الخبر، لتهتف قائلة:-

- بجد يا دكتور؟!!.. ربنا يخليك ليا والله عمري ما هنسى جميلك ده.

ابتسم الطبيب قبل أن يقول:-

- تاني جميل!.. ده مش جميل يا عُلا.. أنا مراهن عليكي أنتي دكتورة شاطرة ورسالة الماجستير بتاعتك عن السلوك الإجرامي للمرأة الشرقية، وأنا واثق أن لولا شوية الظروف اللي اتعرضتلها وعطلتك.. كان زمانك في حتة تانية.

أوشكت عيناها أن تذرف دمعًا فرحًا بتلك الكلمات التي أعادت لها الثقة، فابتسمت قائلة:

- مش عارفة أقولك أيه بجد أو أشكرك إزاي.

أراح الطبيب جسده على كرسيه قبل أن يحيط إحدى وجنتيه بسبابته وإبهامه ناظرًا إلى الطبيبة التي لم تتجاوز منتصف الثلاثينيات بعد.. قبل أن يتساءل:-

- يعني لو طلبت منك طلب صغير تنفذيه.

انطلقت بحديثها الذي اعتراه الحماس قائلة:

- طبعًا يا دكتور

- طيب يا عُلا.. أنا شايف أنك تأخري زيارتك لأخوكي شوية.

تبدلت ملامحها من الغبطة إلى الانزعاج، فرفعت حاجبيها الخفيفين إلى أعلى قبل أن تطلق تلك التنهيدة التي بدت وأنها تحمل الكثير من الألم بداخلها.. ليكمل الطبيب حديثه:

- معلش يا عُلا اللي حصل ماكنش شوية عليه، اديله فرصة يهدى وإن شاء الله هفضل وراه لحد ما علاقتكم تتصلح.

نظرت له باستسلام.. قبل أن تومئ رأسها ببطء قائلة:

- حاضر يا دكتور.. ربنا يسهل..

***

بإحدى منافذ بيع المأكولات السريعة بميدان الرماية (الهرم) وقفت تلك الفتاة النحيفة ذات البشرة البرونزية اللامعة والمليئة بالبثور والتي تجعل الناظر إليها يخمن أنها لم تتجاوز العشرين من العمر وذلك برغم تجاوزها منتصف العشرينيات، إلا أن قوامها الضئيل وبشرتها الطبيعية الخالية من أي من مساحيق التجميل بالإضافة إلى ملامح البراءة الطالية لنظرات عينيها البنيتين، أعطوها سنًا أصغر مما تملك، بدأت "أروى" بتلقى طلبات الزبائن الذين بدأوا بالتوافد خصوصًا بعد الهدنة التي أعلنتها الأمطار والتي يبدو أنها لن تطول كثيرًا.. اقتربت الساعة من السابعة مساءً وبدأت في العد التنازلي لانتهاء يوم عملها الثاني بالمطعم، ورغم صعوبة ذلك العمل ومشقته كونها المسئولة الوحيدة عن تلقي طلبات الزبائن وتسليمها إليهم بعد إعدادها إلا أنها كانت تشعر بسعادة غامرة تعتريها نظرًا للمعاناة الشديدة التي لاقتها في محاولة البحث عن فرصة عمل.. فظنت أن السعادة قد طرقت بابها أخيراً، ولكنها وجدت ما ينغص عليها سعادتها من معاملة صاحب المطعم القاسية ولسانه السليط.. وتعالي بعض الزبائن خصوصًا الفتيات من نفس عمرها اللاتي تعمدن التعجرف والمعاملة القاسية دون أسباب واضحة.. لم تفهم سر تلك المعاملة التي تلقاها فتعالت عليها الساقطة والمديونة والشحاذة.. بالإضافة إلى استظراف بعض الذكور ونظراتهم المغتالة لجسدها.. ولكنها تغاضت عن كل ذلك واحتفظت ببشاشتها مع الجميع من أجل البقاء بتلك الوظيفة.

- والنبي يا أبلة خليهم يخلصونا بقى.. مكانوش ساندوتشين كبدة..

هكذا صاح أحد الزبائن غاضبًا موجهًا الكلام إلى أروى التي ابتسمت بهدوء وهي تردد.. (حاضر)

- شوفيلي أوردر 23 خلص يا اسمك أيه ولا لسه؟

هكذا تساءلت إحدى الفتيات بتعجرف شديد.. ولكن أروى وبرغم الغليان الكامن بها إلا أنها ظلت مبتسمة وهي ترد على سؤالها.. (حاضر)

وبداخل ذلك المطعم الصغير وقف (عامر) صاحب المطعم الأربعيني ذو الشعر الحريري المصبوغ والقامة القصيرة الغير متناسبة مع بطنه المنفوخ يتابع توافد الزبائن وغضبهم المنصب على أروى، حتى خرج إلى منفذ البيع وهو يصيح:

- ما تشهلي شوية يا روح أمك الزباين هتطفش

وبرغم أنها لم تكن سبب التأخير إلا أنها هزت رأسها هزات متتالية وهي تبتسم إلى صاحب المطعم الذي ظل واقفًا يتابع عملها موجهًا إليها تلك النظرات الغريبة التي اعتاد توجيهها إليها منذ أن خطت قدماها مطعمه الصغير، قبل أن يتحرك من مكانه متظاهرًا بمساعدة (أروى) وفجأة وبدون مقدمات امتدت يده لتقبض على مؤخرتها بكل قوة.. لتجحظ عيناها من الذهول والمفاجأة.. قبل أن يعود عامر ليجلس على أحد المقاعد المجاورة لها تاركًا إليها آثار الصدمة.. لتلتفت إليه بفمها الذي فُتح عن أخره.. لتجده يبتسم لها تلك الابتسامة الشهوانية غير أبه بوجود عدد ليس بقليل من الزبائن كان يكفي أحدهم الميل لبعض السنتيمترات لمشاهدة تلك الفعلة.

أغرورقت عيناها بالدموع.. فالتفتت لتجد أمامها ذلك السكين الضخم، أرادت أن ترى السكين يخترق بطنه السمين.. أرادت أن تنفجر براكين الدم من جسده لتبلل وجهها عسى أن يشفي ذلك غليلها، فمدت يدها لتقبض على السكين بكل قوة..

- عايزة إزازة مية لو سمحتي.

أخرجتها تلك الجملة عن تفكيرها، ولكنها لم تقضي على ذهولها وغضبها فأفلتت السكين وهي تنظر إلى المرأة المتحدثة، وقد نجحت الدموع في تجاوز حواجز تماسكها لتنهمر وهي تبتسم محاولةً إخفاء آلامها.. وهي تردد بأسى بالغ :.. (حاضر)

مضت الدقائق وما زالت أروى تحت تأثير الصدمة، تتحاشى النظر إلى عيني (عامر).. تشعر بأقصى مشاعر الهوان تعتريها.. تحاول قدر الإمكان السيطرة على دموعها الرافضة للصمت والتي انهمرت على وجنتيها البرونزيتين، تنتظر ميعاد انصرافها على أحر من الجمر.. تتمنى الصراخ عسى أن تتخلص من غلغلة السكين بقلبها.. وما أن صاح عامر معلنًا انتهاء اليوم قبل الثامنة بقليل نظرًا لهطول الأمطار التي عاودت هجماتها بمصاحبة لسعات قوية من برد يناير.. وبالتالي خلو الطريق من المارة والزبائن.. حتى هبت (أروى) مستلمة أجرها اليومي وانصرفت بخطوات مسرعة كالهاربة من الجحيم.

أما عامر فمجرد انتهائه من الإشراف على الإغلاق المحكم لمطعمه بدأ إطلاق ساقيه للريح متحديًا قطرات الأمطار المتتالية التي تساقطت بكل قوة على رأسه، متجهًا نحو سيارته والتي أوقفها صباحًا على بُعد ليس بقليل عن مطعمه.. وبعد ما يقرب من ثلاث دقائق.. توقف عن الركض وبدأ بالسير بأنفاس لاهثة نتيجة شراهة تدخينه، وكأن تحوله من الركض للسير كانت هي إشارة البدء لمن لاحقته دون شعوره.. فانتابتها تلك الرجفة الغريبة.. وتصاعدت تلك الأصوات داخل عقلها، جحظت عيناها فلم تر سواه.. رصدته وهو يسير والتعب قد نال منه فكانت هي اللحظة المناسبة.. شعرت بذلك الوحش ينمو بداخلها.. تحاول أن تمنعه بكل قواها، تشنجت أطرافها وبدأت أنفاسها بالزمجرة تزامنًا مع بروز عروق جسدها.. لتتحول إلى ذلك الكائن الذي لن يهدأ ولن يخمد إلا باختطاف روح ذلك الآثم الواقف أمامها.. بدأت

تخطو خطواتها ببطء.. انطلقت زمجرتها بالقرب منه تزامنًا مع نباح الكلاب الموجودة بتلك المنطقة حتى دنت منه، لفت انتباهه صوت تلك الزمجرة المختلطة بصوت الرعد البادئ بالزئير.. فبدأ بالالتفات يمينًا ويسارًا والخوف ينتابه نظرًا لفوبيا الكلاب المصاب بها.. ولكنه لم يجد شيئًا.. فاستمر بالسير والقلق يسيطر عليه.. وفجأة..

امتد من خلفه ساعد ضخم ليلتف حول عنقه بكل قوة، حاول التخلص من تلك القبضة بكل الطرق ولكن دون جدوى، فلم يجد بديلًا سوى غرز أظافره الطويلة بيد خانقه الذي لم ير أيًا من ملامحه محاولًا التملص.. ولكن لم تأت تلك الفعلة بالفرار.. بل على النقيض فقد ازدادت قوة إحكام الخانق حتى سقط "عامر" أرضًا لتصعد روحه إلى بارئها معلنًا انتهاء رحلة تجاوزت الأربعين عامًا بالحياة.

أما هي فلم تكن قد أتمت مهمتها بعد، فجثت على ركبتيها لاهثة الأنفاس وما زالت زمجرتها المخيفة تدوي في الأجواء، مدت يدها مداعبة خصلات شعر فريستها.. قبل أن تخرج سكينًا قد أحضرته خصيصًا من أجله.

وتحت أضواء البرق مدت يدها فاتحة سحاب بنطاله، وباليد الأخرى مشهرة سكينها.. لحظات قليلة مرت قبل أن تشرع سكينها في أداء تلك المهمة الوحشية وهي تدندن بصوتها العذب:

Where are my eyes?.. where is my lips?.. why is place cold darkness here!

أنهت سكينها الغليظة المهمة، فأمسكت بذلك العضو الذي تم استئصاله ناظرة إليه نظرات الانتصار وكأنها اقتلعت لتوها ما نبت لإيذائها.. قبل أن تنطلق ضحكاتها المتوالية لتدوي في الأجواء.

***

عاد إلى منزله والإجهاد يلتهم أطراف جسده التهاما، تصرخ روحه معلنة وصولها حد السأم من روتين حياته.. دخل إلى غرفته ملقيًا السلام على (هدى) التي لم ترد سلامه واكتفت بالنظر إليه تلك النظرات المعاتبة، بدأ بخلع ملابسه متثائبًا ليعلن عن رغبة قوية بالنوم متجاهلًا تلك النظرات النارية من الزوجة الجالسة مربعة الأيدي على الفراش.. ترمقه بأعين الغضب.. أنها استبدال ثيابه.. قبل أن يعيد النظر إلى تلك الأعين العسلية المتابعة له، وأخيرًا قرر البدء بالحديث:-

- شوفيلنا حاجة ناكلها.. أنا واقع من الجوع.

ابتسامة سخرية كانت أول ردود فعلها قبل أن تتحدث بنبرة الغضب المعهودة قائلة:-

- أيمن هو أنت مابتفتكرنيش غير وأنت جعان؟

خبطة من يده على رأسه عبر خلالها عن ضجره من ذلك النقاش الزوجي المحتدم والمعتاد قبل أن ينظر لها محاولًا تمالك أعصابه.. ليتساءل بطريقته المستفزة والتي دائمًا ما تزيدها غضبًا قائلاً:-

- وأيه كمان؟

- أنت بقالك يوم كامل بره البيت.. حتى التليفون ما بتردش عليه.. مفكرتش الحيوانة اللي أنت سايبها دي عايشة ولا ميتة ولا جعانة ولا أيه ظروفها.

ابتسم إليها تلك الابتسامة المستخفة بحديثها قبل أن تزداد سخريته منها بقوله:-

- عندك حق يا حبيبتي.. معلش بقى أنتي عارفة من صالة الجيم لملعب الاسكواش.. طول النهار بلعب.

هبت من على سريرها رافعة راية الغضب، لتصيح به قائلة:-

- ما تبطل بقى يا أخي طريقتك المستفزة دي، شغل، شغل.. شغل محسسني أن مفيش في وزارة الداخلية غيرك.. طب وأنا يا أيمن مش مهم؟

- أقولك حاجة؟؟ بلاها أكل.. أنا هنام.

ارتمى بجسده الضخم على الفراش متجاهلًا حديثها الغاضب فتوجهت إلى مكان نومه وبدأت بالصراخ وهي تجذبه من ثيابه قائلة:-

- لا مش هتنام يا أيمن.. وهتقوم تتكلم معايا.. دي مبقتش عيشة.

نهض من على فراشه ببروده المعهود وابتسامته السمجة التي تمقتها بمثل تلك المواقف.. قبل أن يتحدث:-

- وبلاها نوم كمان هنا.. أنا داخل أنام في الأوضة التانية.

غادر غرفته متجهًا إلى الغرفة الأخرى متجاهلًا نداءاتها التي تحولت من الغضب إلى التوسل لاعنًا كعادته يوم زواجه حتى وصل إلى الفراش الموجود بغرفة الأطفال الذين لم يرزقا بهم حتى الآن لأسباب عجز الأطباء عن معرفتها، ارتمى بجسده مرحبًا بهجمات النوم التي اشتاق إليها، وبمجرد أن بدأ النعاس في إعلاء رايته.. انطلقت تلك السارينة البغيضة من هاتفه لتعلن عن تلقيه مكالمة واردة، زفر غضبًا حتى أن جدران الغرفة قد أوشكت على التطاير إثر زفيره.. وأمسك هاتفه ليجيب.. ليهب من على فراشه قائلاً:-

- فين؟؟.. أنا جاي حالاً.

وكعادته هب مسرعًا عقب تلقيه ذلك الاتصال لاعنًا القاتل والمقتول ليهرول مستكملًا ارتداء ملابسه بالمصعد.

أما هدى.. فقد انتقلت من غيظها إلى الملل الذي استوحش ليفترس حياتها، فأخذت تتنقل من غرفة للأخرى في محاولة لقتل نوباته.. حتى وصل بها الأمر إلى حساب عدد الورود الموجودة بواحدة من السجاد المفروش بغرفة الاستقبال، وأخيرًا أمسكت بحاسوبها النقال بحثًا عن وسيلة لقضاء ليلها الذي سيمر طويلًا كالعادة.. ولجت إلى أحد مواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك).. ليأتيها ذلك التنبيه الخاص بوجود طلب صداقة وارد إليها..

لتجد صورة ذلك الشاب المتطفل الذي أطال النظر إلى جسدها منذ يومين (كريم)، عقدت حاجبيها مبتسمة وهي تتذكر نظراته إلى جسدها، فإن كانت تلك النظرة قد أربكتها وأحكمت من قبضة الخجل على ملامحها.. إلا أنها أشعرتها بأنها لم تُنقل بعد إلى قسم الخردة النسائية.. أشعرتها بأنها ما زالت أنثى, قبلت طلب صداقته وبدأ الفضول الأنثوي في ممارسة دوره.. فانطلقت تستعرض صوره الموجودة.. لاحظت أن معظم صوره عارية الصدر مستعرضًا فيها تلك المطبات العضلية الموجودة بجسده، استمرت في مطالعة صوره حتى وصلت إلى صورة يقف بها مشهرًا عضلاته.. حاملًا إحدى الفتيات كوحش يحمل قطة..

"مساء الخير يا دكتور"

هكذا جاءتها رسالته الأولى.. فضغطت بأناملها على أزرار لوحة المفاتيح وقد قررت الرد على رسالته.

***

تساقطت قطرات من المياه من خصلات شعرها إثر انتهائها توًا من الاستحمام، أمسكت بقلمها وبدأت بتدوين تاريخ اليوم أعلى يمين الورقة:-

الأربعاء.. 7 يناير 2012

صديقاتي العزيزات.. تحية طيبة أما بعد، اعتقد أن الاسم المستعار فكرة لا بأس بها.. لذا اسمحوا لي أن أعرف إليكن نفسي:-

أنا.. فانتين

استعرت ذلك الاسم من روايتي المُفضلة "البؤساء"، هي تلك المرأة التي قتلها الجميع قهرًا وكما قتلوها اعتقد أنني قد قُتلت.. فبعد أن حررني الوقت من ضغوط تسلط الأسرة والتي صنعت مني شخصية ضعيفة يسخر منها الجميع، وما أن استنشقت أولى نسائم الحرية عقب تخرجي في الجامعة حتى وجدت غيومًا أخرى تتلبد بسمائي.. وذلك لأنني قد وصلت إلى الخامسة والعشرين ولم أنل شرف حمل لقب زوجة.. فتحولت المعاملة من الخوف الزائد والذي وصل إلى حد التقييد إلى معاملة البضاعة التي طالتها يد الكساد.

فبعد أن نسجت بخيالاتي صورًا كثيرة ومشاهد نصبت نفسي بطلتها يطاردني فيها ذلك الفارس الوسيم بجواده الأبيض، اصطدمت خيالاتي بواقع "فلان ابن فلانة" بشقته الجاهزة وسيارته الفارهة، ذلك العرض الذي عادةً ما يبدأ بذلك السؤال السخيف:-

مش هنفرح بيكي بقى؟

ومع رفضي المتكرر لفلان المتغير شخصه والمتكررة صفاته حكم علي الجميع بالفشل، وكأن نجاحي قد ارتبط بالزواج.

فلتذهب شهادتي الجامعية إلى الجحيم ولتذهب طموحاتي العملية إلى عين جهنم.. فأنا خُلقت لأُنكح!!

ولكني لم أستسلم لتلك الضغوط.. وقررت الفرار إلى الواقع العملي.

الذي لم يكن أفضل حالا لأجد أنياب المجتمع الذكوري تنهش بأحلامي.. تغاضيت عن كل ذلك.. ولكني لم استطع تجاهل تلك الأعين التي اعتادت اختراق جسدي محتشمة كنت أم متبرجة، أعين رجال يكبروني سنًا بعشرات السنوات، مديرين وآباء وأزواج.. لم يراعوا كوني زميلة لهم فأطلقوا أسهم أعينهم باتجاه جسدي مترقبين أي انحناء أقوم به وكأنها فرصة سانحة لنيل أكبر قدر ممكن من جسدي.. حتى بشوارع بلادي لم تسلم أذني من تلك التحرشات اللفظية السخيفة التي تطورت تصاعديًا من المعاكسات وإبداء الإعجاب إلى الوصف القذر للجسد، وكأنني بنزولي إلى الطرقات بمفردي قد أصبحت سلعة متاحة لكل ذي شهوة.. فأصبح جسدي هو العبء والهم الأكبر على كاهلي خصوصًا بعدما تطور الأمر إلى التحرش الجسدي..

أتذكر أول تلك المرات وكأنها البارحة.. أردت وقتها أن أصرخ، أن أفجر العالم بأسره.. ولكن قيود الـ "عيب" والـ "ما يصحش" قد كممت صرخاتي.. تمنيت وقتها أن امتلك زر نهاية العالم كنت سأضغطه وبكل قوة ودون أدنى تردد، توالت تلك التحرشات حتى أصبحت من ضمن الروتين النسائي المؤلم وبكل مرة تمتد إحدى الأيادي القذرة لتعبث بجسدي بمواصلة عامة أو بأي تكدس.. ألعن كوني أنثى.. أفكر آلاف المرات بالعودة إلى منزلي وعدم الهبوط إلى ذلك العالم مرة أخرى.. ولكن وبعد ثوان من التفكير أتذكر نظرة الأهل لي على أني عانس.. فينطلق ذلك السؤال ليتردد صداه بعقلي ليثنيني عن تلك الفكرة:-

مش هنفرح بيكي بقى؟

الصديقات العزيزات المنتميات إلى معشر النساء.. لقد وجدت نفسي محاصرة بين مطرقة شبح العنوسة وسندان المجتمع الذكوري المضطهد والمتحرش.. حتى أصبحت مُنهكة.

أنهت فانتين كتابة رسالتها.. وهبطت من منزلها مرتدية جينز أسود وبلوزة صفراء اللون مستترة أسفل سترة جلدية كحلية اللون تصل بالكاد إلى خصرها، وقد وارى شعرها ذلك الحجاب المعقود على الطريقة الإسبانية، توجهت إلى منزل إحدى صديقاتها ووضعت الرسالة بذلك الصندوق الخشبي المجاور لمنزلها.. قبل أن تدير وجهها وتستعد لهبوط الدرج لتجد رجلًا تجاوز الستين من عمره مراقبا إياها من خلال باب شقته المفتوح.. ألقت السلام على جار صديقتها الذي رد السلام بمثله وتوارت عن ناظريه الملاحقين لها وهي تهبط الدرج.

***

وصل العقيد هشام إلى موقع الحادث بعد تلقيه اتصالًا هاتفيًا من صديقه المقدم، وبعد التحيات العسكرية الروتينية.. تخطى زملاءه من رجال الأمن حتى وصل إلى مكان أيمن الذي أدى التحية العسكرية وقد بدا على وجهه علامات الرعب، ليتساءل هشام قائلاً:-

- أيه الأخبار يا أيمن؟!

زاغت عينا المقدم يمينًا ويسارا وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة، فتحرك هشام خطوات قليلة حتى وصل إلى جثة القتيل التي وارتها تلك الملاءة البيضاء والتي تحول الجزء السفلي منها إلى الاحمرار.. جثا العقيد على ركبتيه ساحبًا تلك الملاءة.. ليكتشف تلك الفاجعة.. ارتسمت ملامح الرعب على وجهه وجحظت عيناه وهو ينظر إلى ذلك العضو المبتور الموضوع بجانب الجثمان.. ابتلع ريقه بصعوبة ومد يده التي أصابتها الرجفة وهم بتورية الجثمان مرة أخرى، ولكن شيء ما جعله يتراجع عن ذلك، شيء ما لفت انتباهه وأعطى الإشارة إلى عقله لتجاوز الموقف والعودة إلى العمل.. فقد لاحظ تلك السحجات الموجودة بعنق "عامر" والتي تتشابه كثيرًا مع تلك التي رآها منذ أيام قليلة على عنق "سليم".

- المجني عليه "عامر الشناوي" صاحب منفذ لبيع المأكولات السريعة.. 43 سنة.. تليفونه موجود وكل متعلقاته معاه.. يعني مش سرقة.

بتلك الكلمات قاطع أيمن شرود العقيد الذي ابتعد بدوره عن جثمان الضحية بخطوات بطيئة.. قبل أن يلتفت إلى أيمن قائلاً:-

- السحجات اللي موجودة على رقبته بتبين أنه اتعرض للخنق بطريقة قوية.. ده ما بيفكركش بحاجة؟!

أومأ أيمن رأسه سريعًا قبل أن يجيب قائلاً:-

- فعلًا الملاحظات المبدأية بتبين تشابه كبير في طريقة الخنق بين عامر وسليم.

عقد هشام يديه خلف ظهره وبدأ بالسير ذهابًا وإيابًا قبل أن يعيد النظر إلى أيمن مضيقًا حدقتي عينيه متسائلاً:-

- قولي يا أيمن لو أنت قاتل محترف.. وفي حد مغلول منه وعايز تقتله موتة بشعة هتعمل أيه؟

حك المقدم رأسه مفكرًا قبل أن يجيب:-

- يعني ممكن أحرقه، أقطع راسه، امثل بجثته، أو أعذبه قبل ما يموت.

هزات من رأس العقيد عبرت عن موافقته على رأي زميله، قبل أن يكمل الأول حديثه قائلاً:-

- طب وفكرك اللي قتل عامر، قطع عضوه الذكري الأول وبعدين خنقه؟، ولا خنقه وبعدين عمل ده؟!

شرد المقدم لثوان قليلة مفكرًا في ماهية السؤال قبل أن يقول:-

- هو لو قطع عضوه الأول.. ليه هيخنقه؟!، لكن لو خنقه ممكن على سبيل الانتقام يقطع جزء من جسمه.

ابتسم العقيد مداعبًا خصلات شاربه الكثيف قبل أن يربت على كتف أيمن، ليتساءل الأول قائلاً:-

- ولو أنت بقى عايز تنتقم من حد.. قولتلي هتحرقه أو تعذبه.. لكن ممكن تعمل حاجة زي دي؟

وجه هشام ذلك السؤال إلى صديقه مشيرًا بإصبعه إلى جثة الضحية، لتظهر ملامح الامتعاض على وجه أيمن ويعقد حاجبيه اشمئزازًا ليرد سريعاً:

- لا طبعاً

ليرد هشام بحماس قائلاً:-

- بالظبط.. صعب جدًا يكون راجل اللي عمل كده يا أيمن، إلا بقى إلا إذا كان لا مؤاخذة اتعرض لأذى من العضو ده فبالتالي قطعه.

بدأ الاقتناع في التسلل أخيرًا إلى عقل أيمن باعتقاد زميله قبل أن يتساءل أيمن قائلاً:-

- تصورك أيه يا هشام؟

- الأيام دي مبقاش فيها حاجة مستبعدة يا أيمن، لازم نحط كل الاحتمالات..

أنهى هشام حديثه قبل أن يخرج علبة سجائره ومنقذته الوحيدة من ضغوط العمل.. أشعل سيجارته قبل أن يوجه أمرًا إلى أيمن قائلاً:

- عايزك تكلف إدارة المعمل الجنائي والطب الشرعي أنهم يعملوا مقارنة بين الجريمتين، وفي ظرف ساعتين يكون ملف "عامر" جاهز.

- عُلم وينفذ يا فندم.

انطلق أيمن في طريقه لينفذ أوامر زميله الأعلى في الرتبة، أما هشام فقد ظل بمكانه مجمعًا التفاصيل بعقله كمن يغزل شباك القبض على الجاني، حتى قفز إلى ذهنه ذلك الخيار الذي لاقى ترحيبًا بنفسه، فارتاد سيارته وانطلق بها على الفور.

ساعة من الزمن فصلته عن الوصول لمنزل صديق الطفولة وابن ذات البلدة بعدما استأذنه تليفونيا، وبعد الدخول والترحاب جلس هشام بمواجهة دكتور "شُهدي".. ليبدأ الأخير الحديث:-

- والله زمان يا هشام، بقى يا راجل من يوم ما جيت الجيزة معرفش عنك حاجة!

- معلش يا شُهدي والله أنت عارف المباحث ومشاغلها.

- مش لو كان الحاج أبوك الله يرحمه سابك تدرس علم نفس زيي كان زمانا مع بعض.

وضع هشام يده على وجنته وهو يبتسم قبل أن يجيب على حديث صديقه:-

- متفكرنيش يا شهدي باليوم ده، لسه كفه معلم على وشي من ساعتها.

انطلقت ضحكاتهما تدوي بأرجاء المنزل قبل أن يبدأ شُهدي بالكلام مقلدًا طريقة حديث والد هشام الراحل بلهجته الصعيدية:-

- رايد تطلع حكيم مجاذيب يا ولد المجذوبة.

ليعاودا انفجارهما بالضحك حتى دمعت عيناهما.. قبل أن يعيد شُهدي بداية الحديث:-

- بس أنت برده يا هشام رغم أنك دخلت شرطة زي ما كان عايز.. ما بطلتش قراية علم نفس ولا فلسفة من يومها.. ده أنت قريت كتب أنا مقرتهاش يا راجل.

- بس القراية لوحدها مش كفاية يا دكتور.

فهم "شُهدي" . والذي ذاع صيته في مجال الطب النفسي لدرجة الإشراف على رسائل الدكتوراه والماجستير للطلاب . قصد هشام من مناداته بذلك اللقب "دكتور"، والذي لا ينطق به إلا عند الاحتياج لمشورة تخص عمله.. فارتسمت ملامح الجدية على وجه شُهدي وهو ينظر إلى صديق الطفولة قائلاً:-

- سامعك يا هشام.

بدأ هشام في سرد تفاصيل الجريمتين، وسط متابعة دقيقة من صديقه الطبيب حتى اختتم العقيد حديثه قائلاً:-

- لو افترضنا صحة كلامي، أيه اللي يخلي ست تعمل كل ده يا شُهدي؟!.

عدَل الطبيب من وضع نظارته الطبية وبدأ بالإجابة عن سؤال هشام:

"شوف يا هشام.. برغم اختلاف دوافع القتل بين الراجل والست.. لكن التاريخ بيقول أن الست أشد عنفًا من الراجل في حالة خروجها عن السيطرة، عندك مثلًا أول حالة قتل نسائية مُسجلة في الكتاب المقدس كانت لمرأة اسمها "ياعيل"، صُنفت في الوقت ده على أنها جريمة وحشية.. رغم أنها كانت ممكن تقتل سيسرا بالسم مثلا.. لكنها استخدمت مهارتها في صنع الخيام.. وخلت سيسرا نايم وضربته بشدة بالوتد لدرجة أنه دخل جمجمته"..

ضاقت عينا العقيد هشام وكأنه يحاول الوصول لمغزى كلام الطبيب الذي أراد توضيح ذلك بمثال آخر قائلاً:-

"عندك مثلًا "تيلي كليمك" دي قاتلة متسلسلة ظهرت في بداية القرن العشرين.. سممت حوالي 20 شخصا باستخدام الزرنيخ ومن ضمنهم أجوازها الأربعة ورا بعض، وهنروح بعيد ليه هنا في مصر ريا وسكينة.. ده غير القواضي الكتير اللي ممكن تصادفها عن ست بتقتل ولادها.. باختصار عنف المرأة شيء مش مستبعد لأنها في الأخر بشر، بل بالعكس الست لما بتلجأ للعنف يا هشام بتكون أخطر وأشرس 100 مرة من الراجل"..

هز هشام رأسه بالموافقة على كلام الطبيب ليقول:-

- أنا متفق معاك يا شُهدي في معظم كلامك.. بس اختلافي الوحيد أن مثلًا ريا وسكينة قتلوا للسرقة، حتى ياعيل في قتلها لسيسرا كان فيه دافع وسابق معرفة، لكن هل ممكن ست تقتل شخص مفيش أي سابق معرفة بينه وبينها؟

عقد الطبيب يديه أسفل ذقنه، قبل أن يقول:-

- ده في حالة أن القاتلة مش مدركة لخطواتها.. بتقتل أي حد قدامها.. وهو شيء وارد في الحقيقة.. بس ارجع واقولك أنه خيال وافتراض وأنت كراجل مباحث لازم تعتمد في شغلك على الورقة والقلم.. مش الافتراضات والخيال.

- إحنا في حالة تخبط يا شُهدي، الحق اختلط بالباطل والأدلة كلها مطموسة في كل شيء مش بس في الجريمة، والإنسان لو أراد الوصول لحقيقة شيء مالوش أي دليل.. لازم يضع فروض وبعدها يبدأ يتأكد

من صحة وخطأ كل فرض عن طريق مقارنة نتايجه بالحقائق المثبتة لديه، مش يحط أيده على خده ويستنى.

- خسارتك في المباحث والله يا هشام.

لم يعر هشام ذلك الإطراء أي اهتمام، بل هب من على مقعده متجهًا إلى إحدى النوافذ، ليزيح الستار عنها متأملًا بالأمطار المنهمرة، قبل أن يلتفت إلى الطبيب قائلاً:-

- أنا مستني نتايج المعمل الجنائي تجيلي بكرة، لو افتراضي كانله نسبة لو حتى ضئيلة، هبقى محتاج مساعدتك..

هم الطبيب بالقبول، ولكن فجأة ارتسمت صورة "عُلا" بذهنه.. شعر وكأن القدر اختار ذلك التوقيت بعدما وعدها بإسناد أولى القضايا التي تلائمها وبالطبع لن تجد ما يلائمها أكثر من ذلك.. افتراض وهمي من ظابط مباحث بدرجة طبيب نفسي عن قاتلة متسلسلة.. لا جاني ولا جلسات ولا تشخيص.. فقط بعض من الوقت قد يساعدها في استعادة ماهيتها وحيويتها العملية، لاحظ هشام شرود صديقه الطبيب فاقترب منه ليتساءل قائلاً:

- أيه يا شُهدي.. هتساعدني ولا أيه؟

مط "شُهدي" شفتيه قبل أن يُعدِل من وضع نظارته الطبية مجددًا ويقول:-

- مش بالظبط.. مداريش عليك أنا اليومين دول مش هبقى فايق أوي لمساعدتك.. لكن فيه بنت دكتورة نفسية شاطرة جدًا أنا اللي كنت مُشرف على رسالة الماجستير بتاعتها.. شغالة معايا في المستشفى هي دي الأنسب لموضوعك.

ارتسمت ملامح الامتعاض على وجه العقيد ليتحدث قائلاً:

- أيوه يا شُهدي.. بس دي أكيد خبرتها أقل منك بكتير.

- فكرك لو أنا شايفها مش هتفيدك.. هنصحك بيها؟!

اقتنع هشام بعض الشيء برد صديقه، ولكن ما زالت علامات التردد تمتلك زمام وجهه.. فقرر الطبيب إنهاء تلك السيطرة والقضاء على احتلال التردد لوجهه قائلاً:-

- رسالة الماجستير بتاعتها كانت عن السلوك الإجرامي للمرأة الشرقية.. صدقني دي الشخص المُناسب.. شوف عايز تبدأ إمتى وتعلالي المستشفى أعرفك بيها.

أومأ هشام إيجابًا قبل أن يبدأ بتجميع أشيائه استعدادًا للانصراف قائلاً:-

- أتأكد بس يا شُهدي أن افتراضي صح.

***

أما هدى فمنذ مغادرة زوجها للمنزل والرد على تلك الرسالة الواردة إليها من كريم، توالت الرسائل المتبادلة بين الطرفين أحاديث كثيرة سردها ذلك الشاب الذي يصغرها بما يقارب العشر سنوات عن ماضيه، طموحه، ذكرياته وكل شيء.. لم يسمح للملل بالتسلل ولو لمجرد ثانية بأحاديثهما مستغلًا براعته في الحديث والتناوب بين مختلف المواضيع، وبالفعل نجحت تلك الأحاديث في انقشاع الملل والقضاء على الرتم البطيء لساعات الليل الطويلة لاسيما مع إطراءاته المستمرة والتي تعشقها كل أنثى.. خصوصًا وإن كانت قد حُرمت من سماعها، تفاجأت هدى بسطوع شمس الصباح، ولكن ذلك لم يمنع أحاديثهما التي استمرت وانتهت على اتفاق بتناول طعام الفطور سويًا بصيدليتها.. هبت مسرعة كطفلة تسابق الزمن لنيل

جائزتها وفتحت خزانة الملابس كمراهقة تزوغ عينيها بين ملابسها بحثًا عن أفضلها والأغرب هو لجوئها إلى مساحيق تجميلها التي طالتها يد الإهمال منذ فترة ليست بقريبة حتى أنها شكت بانتهاء صلاحية بعضها نظرًا لندرة استخدامها.

هو ذلك الشعور الذي تعشقه كافة النساء شيختهن قبل المراهقة، شعور أن أحدهم ينتظر لقاءها فتتوج نفسها ملكة لذلك اللقاء وتتبارى أفكارها المدججة بالثقة لتكسيها أوفر قسط من الجمال، على هذه الشاكلة هبطت إلى صيدليتها لتجد ذلك الشاب بالانتظار ليساعدها بفتح باب الصيدلية الحديدي.. ويدلفا إلى الداخل.

تناولا الفطور الذي اتفقا عليه صباحًا واستمرا بتبادل أطراف الحديث وكأن نبع الكلام لا ينضب، لتتحول تلك الزوجة دائمة العبوس إلى امرأة مشرقة الوجه ذات شفاه مبتسمة وهو ما ندر وجوده بالآونة الأخيرة، وفجأة احتل الصمت الموقف لبضع ثوان استغلها ذلك الشاب "كريم" في النظر إليها مضيقًا حدقتيه وكأنه يركز بإحدى اللوحات العالمية وسط متابعة واستغراب الطبيبة ليتحدث هو قائلاً:

- قوليلي يا دودو.

اتسعت ابتسامتها وأجابته على شاكلة تمنع الراغبات قائلة:

- مش قولنا بلاش دودو دي.. يعني أنا سبتك تقولي يا هدى وقولت معلش.. لكن توصل لدودو!.. يا ابني أنا اكبر منك بـ12 سنة.

- طب أنتي عارفة أنا في الأول كنت مفكر أنك بالكتير 26 سنة مثلاً.

انطلقت ضحكاتها قبل أن تقول:

- ياربي عالمسامير.. كفاية تثبيت بقى يا بني.

- على فكرة أنا مبعرفش أجامل.

- ماشي هحاول أصدقك.. قولي بقى كنت هتقول أيه؟

وجه أنظاره إلى أظافر يديها متسائلاً:-

- أنت ليه ماكنتيش بتحطي مانكير قبل كده؟!.. على فكرة لايق جدا على ايديكي.. هو انتي اساسًا زي القمر.. بس النهارده قمرين.

حالة من العبث سيطرت على ملامح وجهها، فحاجبها الأيسر حاول العودة إلى شاكلته القديمة عند استشعار الخطر، بينما لمعت عيناها سعادةً باهتمامه بأدق التفاصيل، أما شفتاها فكأنهما قد ضلا الطريق ما بين الابتسام والوجوم.. ليستمر هو بالحديث قائلاً:

- كمان أول مرة أشوفك مستعملة فانديشن، بس هقولك حاجة بقى عشان ده ملعبي..

هم بالاقتراب منها في ظل ذهولها حتى أصبح مواجها لها تمامًا وهم بوضع يده على وجنتها ماسحًا بشرتها القمحية بإبهامه.. متحدثًا عن درجات ذلك الفانديشن وأنواعه، وهو الحديث الذي لم تستمع ولو لكلمة واحدة منه، فقد سُحبت لعالم آخر بفعل لمساته الخبيرة لبشرتها التي لم تستمر طويلاً.. ولكنها تركت أثرا لا يمكن التخلص منه بسهولة.

***

بالعاشرة صباحًا جلس كل من العقيد (هشام) والمقدم (أيمن) بمكتب الأول بمديرية الأمن يتحديان هجمات النوم التي شنت غزواتها لا سيما بعد تلك الليلة التي قضياها بالتفكير باحتمالات توافق قضيتي (سليم) و(عامر).. حتى أنهما قد أعادا قراءة ملفي التحريات الخاصين بكليهما، حتى زفر أيمن ضيقًا معلنًا يأسه من الوصول لجديد.. وبدأ بالحديث قائلاً:-.

- أنا معاك يا هشام أن فيه تشابه كبير في أسلوب الخنق.. أنا شخصيًا لما شوفت جثة عامر شكيت بنسبة كبيرة أن الجاني واحد.. بس زي ما أنت شوفت التحريات بتقول أن مفيش أي تشابه أو علاقة جمعت بين سليم وعامر.. مفيش أي عامل مشترك بين الاتنين، حتى على مستوى السلوك.. سليم راجل متزمت دينيًا وعامر راجل فلاتي ووش كباريهات.

ليرد العقيد قائلاً:

- عالعموم هيبان كلها دقايق وتقرير البحث الجنائي يطلع.

- أنا كمان مستني إذن النيابة عشان أفرغ كاميرات المطعم بتاع عامر.. يمكن يوصلنا لحاجة.

هز هشام رأسه تجاوبًا مع حديث المقدم قبل أن يعود الصمت ليبتلع الحروف.. حتى أنطلق صوت هاتف العقيد قاطعًا ذلك الصمت، فأجاب على الهاتف متلهفًا لتنفرج أساريره وهو يتحدث إلى أيمن قائلاً:-

- دقيقة ونسخة من تقرير الطب الشرعي ونسخة من تقرير المعمل الجنائي يكونوا قدامنا.

هم هشام بإشعال سيجارة فشل في تحديد ترتيبها منذ البارحة ليزفر أولى أنفاسها المختلطة برائحة القهوة نظرًا لعدد الفناجيل المهول التي احتساها طوال الليل.. قبل أن يطرق باب مكتبه أحد العساكر مؤديًا التحية العسكرية.. ويضع ملفًا صغيرا من الأوراق أمامه.. فأسرع أيمن بالإمساك بذلك الملف ليقرأه بعينيه وسط متابعة وترقب من هشام، لترتسم على وجه الأول علامات الاستغراب والذهول قبل أن يتحدث:-

- أسباب الوفاة متماثلة تقريبًا بنسبة 100%، واضح أن عامر حاول يقاوم وخربش الجاني.. فضوافره كان فيها آثار من جلد الجاني، الغريب أن مكتوب في التقرير أن الحمض النووي للقاتل يخص..

صمت أيمن وبدأت عيناه بالزوغان يمينًا ويسارًا.. ليصيح هشام غاضباً:-

- في أيه يا أيمن؟!.. يخص أيه؟

مط أيمن شفتيه استغرابًا قبل أن يستكمل حديثه:-

- يخص واحدة ست

لمعت عينا العقيد بأشعة الحماس وهز رأسه هزات قليلة متتالية معبرًا عن توقعه لذلك قبل أن يقول:

- روح استعجل إذن النيابة.. لازم نفرغ كاميرات المطعم.

وبمجرد الحصول على إذن النيابة أنطلق كل من هشام وأيمن بسيارة الأول والوجوم والذهول يسيطران على ما ظهر من مشاعرهما وما بطن، وما أن خرجا من محيط مديرية أمن الجيزة حتى اصطدما بالطرقات التي توقفت بها حركة السير تمامًا.. نظرًا لذلك الحشد من الشباب السائرين بالطريق، بطريقة أوقفت الحركة المرورية.. ليتساءل أيمن فزعا:-

- هو في أيه.. مين دول؟

- دي يا سيدي المسيرة اللي ائتلاف شباب الثورة في الجيزة عاملها النهارده، هيروحوا ميدان التحرير مشي عشان هيعتصموا هناك.

ضرب أيمن أخماسًا بأسداس تعجبًا قبل أن ينطلق حديثه كبركانٍ طال خموده قائلاً:-

- التظاهر بقى رحلة، كل واحد من العيال دي عاملي فيها فاهم في كل حاجة وهو محلتوش 2 جنيه في جيبه.. وبدل ما يتعب ولا يشقى عشان لقمة العيش.. شاغل دماغه بالسياسة.

أدار هشام رأسه ليلقي نظرة على هؤلاء الشباب قبل أن يتحدث قائلاً:-

- عارف يا أيمن، الشباب ده لو وفر طاقته وفكره لأنه يصحح وضع البلد اجتماعيًا ولا اقتصاديًا الأول.. السياسة هيتصلح حالها لوحدها ومن غير دم.

عاود أيمن حديثه المنفعل قائلاً:-

- يا هشام دي عيال فاضية وفرافير ومش فاضيين غير لكلام مجعلص قرينه في كتب، ده لو حد فيهم متعلق في رقبته بيت ولا مسئولية.. ولا مطحون في أكل العيش كان خاف على عمره ووفر وقته.

صمت هشام موفرًا طاقته التي ستُهدر في حال المناقشة مع صديقه، فكل منهما لديه اقتناعاته التي لن يغيرها النقاش.. فآثر الصمت حتى انتهاء تلك المسيرات، وانطلقا مجددًا حتى وصلا إلى مكان نافذة الطعام ليجدا فريق العمل بالانتظار.

وقف أيمن يتجاذب أطراف الحديث مع اثنين من الذكور العاملين بالمطعم واللذين سبقا وأن أدليا بأقوالهما معه ليلة البارحة.. أما هشام فقد انتقل بصحبة أحد الفنيين العاملين بمديرية الأمن لتفريغ الكاميرات.. فجلس بجواره متابعًا سير الأحداث المُسجلة بالكاميرا والتي تم تشغيلها بسرعة متوسطة، وبين الحين والآخر يأمر هشام الفني بالتوقف على لقطة معينة تظهر فيها إحدى السيدات ويطلب منه تكبير الصورة قدر الإمكان وبعدها يأمره بحفظ الصورة.. هكذا جرت الأحداث حتى وصل الشريط المُسجل إلى تلك اللقطة التي اقترب فيها

عامر من الفتاة العاملة بمطعمه (أروى) قابضًا بيده على مؤخرتها.. طلب هشام من الفني إعادة اللقطة عدة مرات وهو يدرس بعين ظابط المباحث المخضرم ردة فعل الفتاة المعبرة عن الصدمة والاندهاش خصوصًا بعدما قام الفني بتكبير الصورة، قبل أن يأمره هشام باستخدام الحركة البطيئة لعرض الأحداث التالية، ليجد تلك الفتاة قد مدت يدها لتقبض على السكين الموضوع أمامها.. قبل أن تفلته مرة أخرى.

- أيمن.. تعالى كده بسرعة.

هكذا صاح العقيد هشام بعدما طلب من الفني توقيف الصورة وإعادة تلك اللقطة من البداية، وعلى الفور استجاب إليه أيمن وهرول تجاهه سامحًا للحم بطنه المكتظ بالارتجاج صعودًا وهبوطًا حتى وصل إليه وبدأ الفني في تشغيل اللقطة بالتصوير البطيء.. مكبرًا الصورة لتظهر ملامح تلك الفتاة السمراء جلية وهي تقبض على السكين قبل أن تفلته مرة أخرى، ليهب هشام صارخا:

- عايزك تجبلي البنت دي من تحت الأرض يا أيمن.

***

"مش رايحة الشغل ولا أيه يا أروى؟ "

هكذا تساءلت تلك المرأة التي بدا جبروت الزمان جليًا على ملامحها رغم أنها لم تتجاوز الخمسين من العمر بعدما تفاجأت بأن ابنتها ما زالت بالمنزل رغم إعلان عقارب الساعة عن الرابعة عصرا، زاغت عينا الفتاة يمينًا ويسارًا وهي تفكر بكيفية إخبار الأم بقرارها بترك العمل بذلك المطعم، تفكر بالسبب قبل الخبر.. هل تخبر والدتها بكل بساطة أن صاحب المطعم استغل حاجتها للعمل ليعبث بجسدها؟، بالطبع

لا.. فقد يتسبب ذلك الحديث بارتفاع معدل السكري الذي سقطت الوالدة فريسة له، قاطعت الأم شرود ابنتها لتتسائل:-

- مالك يا بنتي فيكي أيه؟!

أسرعت أروى برسم الابتسامة المصطنعة لتواري بها ملامحها الحزينة، قبل أن تجيب:-

- لا يا ماما.. أنا سيبت الشغل.

خبطة من يد الوالدة على صدرها كانت الرد على ذلك الخبر، إلا أن الفتاة بدأت بصياغة كذبتها التي ستواري بها الحقيقة قائلة:-

- متخافيش يا ماما.. فيروز صاحبتي جابتلي شغلة أحسن بكتير.. ومرتبها مرة ونص من يومية المطعم.

عادت الابتسامة لغزو شفتي الأم اللتين غزاهما الزمان ليحولهما إلى الزرقة، قبل أن تتساءل قائلة:-

- الحمد لله.. ربنا يرزقك برزقنا يا بنتي.. قوليلي شغلة أيه؟

- شغلة بالشهادة يا أمي.. سكرتيرة في شركة كبيرة.. الراجل مدير الشركة أول ما شاف البكالوريوس بتاعي قالهم لازم تتوظف فورًا.. وهستلم الشغل خلال يومين تلاتة.

صاحت الأم فرحة بكذبة ابنتها قائلة:-

- الله أكبر!.. شوفتي يا أروى فايدة البكالوريوس.. وأنتي اللي كنتي عايزة تاخدي الدبلوم وتقعدي.

هزت الفتاة رأسها وهي تحاول إكمال أخر فصول روايتها المنسوجة من الخيال بابتسامة عريضة، قبل أن تدير الأم وجهها وتستعد للانصراف مُحملة بالأحلام الوردية، وبمجرد انصراف الأم من الغرفة

أُسدل الستار على ذلك المشهد السعيد، لتنهمر دموع " أروى" وحدها بالكالوس ناظرة إلى صورة والدها المُعلقة على أحد الجدران وكأنها تعاتبه على الانصراف المبكر من الحياة تتذكر كيف كانت حياتهم على قدر بساطتها ولكنها كانت أمنة.. لم تحمل يومًا هم الطعام أو علاج السكري الذي أطاح بوالدتها.. لم تحمل يومًا هم مصاريف تعليم أشقائها الثلاثة.. تتذكر حياتها منذ عامٍ مضى.. وكأنها حلم.. وكأنها الجنة التي طردت منها إلى نار الواقع التي لا ترحم أحدا، حاولت كتمت نحيبها قدر المستطاع فانهمرت دموعها ساخنة، قبل أن تصدر صوت طرقات قوية ومفزعة من باب منزلها الخشبي مسحت وجنتها المبتلتين وخرجت إلى غرفة الاستقبال تستكشف ماهية تلك الطرقات، اتجهت الأم ذات الرداء المتشح بالسواد والفزع يعتري ملامحها لتفتح الباب الخشبي، ليلج إلى المنزل أفراد بزي ملكي كالفارين من الجحيم والأهالي متجمهرين أمام الباب لمشاهدة ما يحدث، وقبل أن تتمكن أروى أو والدتها من تجاوز تلك الصدمة، برز بالصورة ضابط بدين أجش الصوت ليتحدث قائلاً:-

- مقدم أيمن خليل.. مباحث جنائية.. عايزين المدعوة "أروى الملهي".

حالة من الهلع والنحيب اجتاحت الأم، ظلت تضرب خديها بكل ما أوتي من قوة.. تنظر إلى الأهالي المحتشدين أمام باب منزلها بعين اختلط بها طلب الغوث بالخوف من الفضيحة، والعين الأخرى تتابع رجال المباحث الذين عاثوا بمنزلها فسادا، وبأحد جنبات المنزل وقفت أروى تنظر إلى ظابطي المباحث المتجهين إليها بخطوات متوازية وهادئة، تزوغ أنظارها بينهما وقد امتلأت عيناها بالدموع، قبل أن يبدأ أحدهما الحديث قائلا:-

- عقيد هشام عبد ربه.. مباحث جنائية، عايزين نتكلم معاكي شوية عقبال ما الرجالة تخلص تفتيش.

بدأت بالانتفاض رعبًا وهي تحاول قدر الإمكان إيماء رأسها بالموافقة، قبل أن يصحباها إلى إحدى غرف المنزل.

جلس هشام على إحدى الأرائك التي تقاوم الزمن قدر استطاعتها حتى أنها أصدرت ذلك الأنين الخشبي بمجرد اتكائه عليها، فيما تراجع أيمن عن قرار الجلوس بعد ذلك الصوت، تجول العقيد بعينيه متفقدًا الجدران المهترئة كسوتها بفعل الزمان فأصبحت تشبه - في التجاعيد - وجه تلك العجوز التي ما زالت تصرخ بالخارج، أو أن العجوز هي التي استمدت تجاعيد وجهها من تلك الجدران، أنهى تأمله ووجه أنظاره متفقدًا تلك العشرينية التي أوشكت على الموت رعبًا ويبدأ بالحديث:-

- ها يا أروى ماروحتيش الشغل ليه؟

عقدت حاجبيها وتدفق الذهول من عينيها متجاوزًا دموعها المنهمرة، عاود العقيد سؤاله على مسامعها بنبرة أكثر صرامة جعلتها تنتفض وتبدأ بالرد على سؤاله :-

- م.. مفيش حضرتك.. تعبانة بس شوية، هو في أيه؟!

أومأ العقيد رأسه وهو لا يزال ناظرًا إليها قبل أن يبتسم كماكر أوقع بفريسته قائلاً:-

- تعبانة؟!.. مع أنك كلمتي زميل ليكي في المطعم وقولتي أنك مش جاية تاني.. مش غريبة؟!.

بدأت بالتماسك التدريجي ومسحت الدموع من على وجنتيها قبل أن ترد على استفسار العقيد:-

- أيوه.. أنا فعلًا عملت كده،.. هو فيه حاجة اتسرقت من المطعم يا باشا؟!

اتسعت ابتسامة العقيد الساخرة.. قبل أن يجيب:-

- لا اتسرقت أيه مش للدرجة دي، عامر صاحب المطعم اتقتل.. وأنتي هتقوليلنا قتلتيه إزاي وليه؟

اتسعت حدقتا عينيها المملوءتين رعباً، وعاودت الدموع الانهمار.. بعدما فهمت سر وجود رجال المباحث بمنزلها.. لتجيب صارخة:-

- قتلته أيه؟؟! والله ما قتلته.. أنا معرفش أنه مات أصلًا .

بدت على وشك الانهيار، وهو الموقف المحبب لضباط المباحث بحالة التحقيق.. فاستغل هشام الفرصة وبدأ بالحديث هادئ النبرة قوي النغمة:-

"شوفي يا أروى.. أنا عايز أساعدك.. إحنا فرغنا كاميرا المطعم وشوفنا عامر عمل أيه، في الحقيقة ده بني آدم قذر، الفيديو ده كفيل أنه يخفف الحكم عليكي.. ده شيء طبيعي أي واحدة مكانك كانت هتعمل كده.. قوليلي الحقيقة وأنا وحياة بنتي هساعدك.. قتلتيه مش كده؟"

- والله العظيم تلاتة ما عملت حاجة، أنا معرفش أنه مات أصلا.. أنا بعد اللي حصل إمبارح قررت أسيب الشغل والله دي الحقيقة صدقني.

زفر هشام ضيقًا.. وهم بالمحاولة مر أخرى إلا أن أيمن قد قطع محاولته تلك المرة قائلا:-

- كنتي فين إمبارح من الساعة 8 للساعة 9؟

- أنا خلصت شغل حوالي 8 إلا ربع.. واتمشيت لحد البيت

تبادل كل من هشام وأيمن النظرات المليئة بالشك قبل أن يستكمل الأخير تساؤلاته وقد كست شفتيه ابتسامات السخرية صائحا:-

- اتمشيتي من ميدان الرماية للطالبية في عز الشتا؟؟.. هنستهبل؟

ارتعدت خوفًا من صيحة المقدم غليظ الصوت والملامح.. فازدادت حدة بكائها وهي تتحدث:

- والله ما بستهبل.. أنا على طول بروح مشي وباجي مشي والله ما اعرف حاجة.

- واضح أنك مش ناوية تتكلمي إحنا عملنا اللي علينا.. تبقي تتكلمي براحتك قدام النيابة بكرة الصبح.

ضربت خديها ضربات متتالية وبقوة وهي ترجو وتتوسل في هيئة سؤال قائلة:-

- نيابة ليه يا باشا.. أبوس أيدك نيابة ليه؟

- قانون طوارئ يا روح أمك مشتهين فيكي.. والنيابة بقى هي اللي تسأل براحتها.

أنهى أيمن جملته ولم ينتظر ردًا منها بل فتح باب الغرفة مناديًا اثنين من رجال المباحث آمرًا إياهما بوضع الأساور الحديدية بيد تلك الفتاة التي ارتمت على الأرض صارخة كطفل يتشبث بأرض منزله بعدما فقد الأمل في النجاة، نفذ المخبران الأمر جاذبين أروى من أرضية غرفتها وهي تقاوم وتقسم بأن لا ناقة لها ولا جمل.. استمرا في جذبها حتى خرجا بها إلى باب المنزل وسط عويل لا ينقطع من الأم المكلومة، وما أن خرجوا جميعًا حتى تحول المشهد أمام المنزل إلى حالة من الهرج

أتى الجميع لمشاهدتها وهي مكبلة الأيدي عارية الرأس، أقسم البعض على أنها تمت إدانتها بالسرقة والبعض الآخر أكد أنها تهمة تخص مباحث الآداب، أما الجزء الأكبر من الحشد فقد ضربوا أخماسًا بأسداس ولاحقوها بأعين الشفقة، تحركت السيارة بعدما مكثت بصندوقها الذي طالما جلس به الجناة لتنطلق بها السيارة تحت أعين هشام الذي سيطر عليها الوجوم، انصرف الجميع إلى أحوالهم إلا هو.. فثُبتت أقدامه وكأنه عجز عن الحركة.. ليخرجه أيمن من شروده قائلاً:-

- هشام!!.. في أيه؟

- أنت وأنا عارفين كويس أن مش هي يا أيمن.

زاغت عينا المقدم يمينًا ويسارًا قبل أن يتحدث مدافعًا عن نفسه:-

- إحنا لينا بدافع الجريمة، الدافع موجود يا هشام.. وهي الوحيدة المشتبه بيها.. ده شغلنا والنيابة لو بريئة تخلي سبيلها.

ابتسامة أسى كانت رد العقيد، قبل أن يتجها إلى سيارته ويبدءا التحرك.

مرت ساعات العمل دون جديد سوى تفكير هشام بتلك الفتاة ومحاولات أيمن لتبرير الموقف وعدم الاكتراث، عاد الأخير إلى منزله كالعادة شاعرًا بالإجهاد.. ولكن بداخله موجات من التأنيب بسبب تكرار تجاهله لزوجته.. دلف إلى المنزل باحثًا عنها بعينيه.. نال الذهول قسطًا وافرًا من ملامحه بعدما وجدها ممدة على أرض غرفة الاستقبال أمام حاسوبها النقال ومندمجة لدرجة كبيرة حتى أنها لم تشعر بحضوره.. همهمات بسيطة سبقت حديثه قائلاً:-

- مساء الخير يا هدى.

هكذا تحدث متفحصًا ملامحها الشاردة وأعينها التي قد بدت وكأنها سُحبت إلى دوامة من الشرود حتى أنها لم تكلف نفسها عناء النظر إليه وهي ترد التحية.. فجلس على إحدى الأرائك مستغربًا من ردة الفعل المتجاهلة له ليستكمل قائلاً:-

- بقولك أيه.. ما تقومي تعمليلنا عشا.. بقالنا كتير ماقعدناش على ترابيزة واحدة.

- الأكل عندك في المطبخ.. ماليش مزاج أكل.

مط شفتيه.. متعجبًا من برودة الحديث التي لم يعتد عليها منها، بل على النقيض اعتاد أن يكون هو مكعب الثلج المقابل لنيران مشاعرها المؤججة، قرر استفزاز تلك النيران بنبرته الاستفزازية المعتادة قائلاً:-

- طيب أنا هخش أنام لأني مجهد أوي.. الشغل كان كتير النهارده جدا.. وأنتي عارفة مفيش في وزارة الداخلية غيري.

لم تنظر إليه أيضًا بل لم تكلف نفسها عناء الجواب، فاكتفت بهزات من رأسها، هم بالسؤال عن أسباب ذلك التغير المفاجئ، ولكن جبل الجليد القابع بداخله منعه من ذلك تحت مسمى الكرامة.. وتوجه إلى غرفته مُسلمًا جسده للنوم.

أما هشام فلم تزر الراحة عقله، ولم يجد للهدوء سبيلًا.. هاجمه طوفان الشعور بالذنب، ومشهد بكاء تلك العشرينية لا يفارق خياله.. يحاول عقله الدفاع عنه قدر المستطاع بأن لا حيلة له.. وبافتراض صحة الاتهام، وكعادته بالقضايا الكبرى توجه بسيارته إلى مسرح الجريمة عله يجيبه على الأسئلة الدائرة بعقله، أوقف سيارته بذلك الشارع المظلم الذي قُتل به عامر.. وبدأ بالتأمل.. عادةً ما يخبره مسرح الجريمة بشيء هكذا اعتاد، اعتاد أن تخبره الجدران جزءًا مما

شاهدته.. وأن تمنحه الطرقات طرف خيط كهدية على إيمانه بها.. مكث بسيارته متابعًا قطرات الأمطار المنهمرة على الطريق.. أضاق حدقتا عينيه مدققًا في تفاصيل المكان، قبل أن يفتح باب سيارته ويقرر الوقوف بمكان الجريمة حيث قُبضت روح عامر، وضع يديه بجيب معطفه رافعًا رأسه إلى السماء سامحًا للأمطار بالعبث بخصلات شعره التي فقدت هندامها، مفكرًا كيف لساعد أنثوي رقيق أن يلتف حول عنق أحدهم ليعتصره حد الخنق، زفر ضيقًا وأعاد التجول بعينيه بالمكان المحيط محاولًا تخيل مسار أحداث الجريمة، قبل أن ينمو إلى أذنيه صوت حفيف أقدام بالقرب منه، فالتفت يمينًا ويسارًا بحثًا عن مصدر ذلك الصوت.. ولكن دون جدوى، استمر الحفيف بالتزايد والاقتراب واستمر العقيد بالالتفات وبدأ الذعر في طرق أبواب فؤاده، وفجأة امتد ساعد غليظ والتف حول عنق العقيد من الخلف، وكأنه ثعبان قبض أخيرًا على فريسته وبدأ باعتصارها.. حاول هشام التخلص من تلك القبضة بكل الطرق ولكن دون جدوى، فبدأت قواه في الانهيار تدريجيًا حتى جثا على ركبتيه، نظر أمامه مودعًا الحياة بأخر النظرات ليجد تلك الفتاة العشرينية "أروى" واقفة مربعة الأيدي تشهد مقتله بابتسامة هادئة.. ليغمض عينيه وتبدأ نبضاته بالسكون التدريجي.

أستيقظ لاهثًا كمن يحاول التعلق بأخر قطرات الحياة ليجد نفسه بسيارته، حاول تنظيم أنفاسه اللاهثة وما زال أثر تلك القبضة التي راودته بكابوسه باقيا، وضع يده على عنقه متألمًا وفرك عينيه كأنه يتأكد من انتهاء ذلك الكابوس، ثم أدار محرك سيارته.. وانطلق بعدما فهم الرسالة جيدا.

***

الفصل الثالث.. المرأة الآلية

بعد مرور 4 أيام

وصل أيمن في تمام التاسعة صباحًا إلى مديرية أمن الجيزة وكالعادة توجه إلى مكتب العقيد هشام.. ليخبره المجند الواقف أمام مكتبه بتواجد (هشام) منذ الخامسة صباحًا تقريبا، فدخل إلى مكتبه ملقيًا السلام ليجد العقيد هشام مستلقيًا على كرسيه الجلدي وقد بدت مقلتاه ككرتين من الدم احمرارًا فجلس أمامه قبل أن يبدأ بالحديث:-

- العسكري قالي إنك هنا من بعد الفجر يا هشام.. في أيه؟!.

نظر إليه بعينيه القاتمتي الاحمرار.. وقد بدا عليه أن النوم قد جفاه طويلاً، داعب خصلات شعره الرمادية المنسابة والتي طالما زادته وقارًا قبل أن يتحدث:-

- البنت اللي مرمية في الحبس بقالها 4 أيام.. إحنا ظلمناها يا أيمن.

جلس أيمن بالمقعد المواجه له بعدما ارتسمت على وجهه ملامح الإمتعاض، فهو الآخر يعلم جيدًا أن تلك الفتاة أقل بكثير من تلك الفعلة.. حاول إقناع ذاته ومن قبلها صديقه قائلاً:

- ما تحملناش فوق طاقتنا يا هشام، إحنا ضباط مباحث دورنا ندور على حقوق الناس.. مش تضامن اجتماعي.

ابتسم هشام بسخرية لم تخل من الألم، قبل أن يتحدث:-

- وهو حبس الناس ظُلم من ضمن حقوق الناس يا أيمن؟!

- ده دور النيابة مش دورنا.. إحنا يادوب أوجدنا سبب ودافع ليها تعمل الجريمة مش أكتر.. مفيش مجال للعواطف يا هشام باشا وأنت أكتر واحد عارف ده.

هز هشام رأسه استنكارًا لدفاع صديقه عن موقفهما.. قبل أن يخرج صوت الأول متهدجًا قائلاً:

- فكر بعقلك يا أيمن دي بنت ومن منطقة شعبية، حتى لو النيابة خرجتها

.. قولي كده سمعتها هتبقى عاملة إزاي؟

زاغت عينا المقدم بعدما فشل عقله في إيجاد الرد على كلام العقيد إلا أن رنين الهاتف كان رحيمًا به.. ليسارع هشام بالرد عليه متلهفا، ليثبت أنظاره تجاه أيمن وهو يبتسم ابتسامة تاه مفهومها ما بين الحزن والبهجة قبل أن يقول:-

"الحمض النووي بتاع أروى مختلف عن القاتلة.. النيابة أفرجت عنها"

أغلق هاتف المكتب وانتفض من على كرسيه تحت أنظار أيمن المتسائلة، ليجيبه العقيد دون أن يصغى للسؤال ليتحدث منفعلا:

- إحنا لازم نتحرك.. مش هنفضل ساكتين. لازم نجيب القاتلة وبأسرع وقت.

- أنت لو اللي ماتوا دول قرايبك.. مكنتش هتبقى عامل كده يا هشام.. قلقان من أيه.. هتقع هتقع.

- أنا مش قلقان أنها تقع ولا ما تقعش.. أنا مش عايز الضحايا تزيد.

- طب أنت متوقع ليه أن جرايم تانية تحصل؟

- اللي يقتل اتنين في أسبوع وبنفس الطريقة القاسية دي ممكن يعمل أي حاجة يا أيمن.. أنت متخيل يعني أيه تحصل جريمة تالتة؟!.. متخيل يعني أيه يظهر قاتل متسلسل لا وواحدة ست كمان في الظروف اللي إحنا فيها دي؟.. عشان كده لازم أفهم دوافعه.. عشان أحسب خطواته الجايه.. أنا هروح للواء عاصي.. لازم نتحرك...

حاول أيمن إثناء زميله عن تلك الفعلة التي يعلم نتيجتها، ولكن لم يمهله حتى مجرد المحاولة فقد انطلق وحماسة صدق تحليله تغزوه.

***

"السواد اللي تحت العينين فعلًا بيكون إرهاق وقلة راحة.. بس مش شرط يكون إرهاق جسدي.. أنت مثلًا.. قلة اهتمام كل اللي حواليكي بيكي وإحساسك الدايم بالغربة.. ظهروا تحت عينيكي.. الإهمال وإحساس الإنسان أنه مالوش لازمة.. يشبهوا الموت بالبطيء"

أنهى كريم حديثه مع "هدى" بنبرته الملبدة بالحزن وسط ذهولها لاستطاعته وصف ما تعانيه بدقة متناهية رغم تجنبها المتعمد الحديث عن حياتها الأسرية، لم تستطع مداراة إعجابها المختلط بالسعادة فانطلقت تلك الابتسامة التي اختفت طوال الفترة الأخيرة بحياتها.. لترد على حديثه:-

- وأنت بقى بتفهم في الميك آب ولا دكتور نفسي؟

ابتسم قبل أن يهب واقفًا من على كرسيه المواجه لها بصيدليتها والتي تحولت كمقر شبه دائم لأحاديثهما، قبل أن يدخل يديه بجيوب بنطاله متفاخرًا بنجاحه في وصف حالتها.. قبل أن يرد بنبرة ما زالت تحتفظ بغيوم الحزن:-

- مش فكرة دكتور نفسي.. جهل من لم يتذوق.. وأفاض وصفًا من ذاق.

عقدت حاجبيها وأمالت رأسها إلى الخلف تعجبًا بطريقة حديثه قبل أن ترد:-

- لا ده أنت فيلسوف كمان.. ممكن توضحلي قصدك أيه بالظبط

- شوفي يا هدى.. أنا قدرت أوصف حالتك بالظبط.. مش عبقرية مني ولا أنا مخاوي مثلًا.. بس يمكن لأني شبهك بالظبط.. من أول لحظة شوفتك فيها وأنا مراهن أن نفس العزلة والوحدة اللي أنا عايش فيهم أنت كمان عايشة فيهم.

لم تستطع هدى منع فضولها الأنثوي أكثر من ذلك فتحدثت وبمخيلتها تلك الصورة التي رأتها له يحمل بها تلك الفتاة:-

- وحدة؟!!.. وبالنسبة لجيش البنات اللي صورهم معاك عالفيس دول أيه؟.. ديكور.

ابتسامة أسى كانت رده على سؤالها قبل أن يصمت لما يقارب الدقيقة ناظرًا باتجاه الأرض وكأنه يتابع مشاهد تُعرض واحدة تلو الأخرى قبل أن يستدير موجهًا ظهره لها ويبدأ بالحديث:-

"عارفة.. يمكن الكلمة الصح الوحيدة اللي قولتيها.. ديكور.. أنا كل اللي حواليا ديكور.. منظر مش أكتر.. وجودهم عمره ما كان بيفرق.. مع الوقت يبدأوا يعودوني على وجودهم.. يبدأوا يبقوا كل حاجة في حياتي

ويتحولوا تدريجيا من ديكور للحم ودم لحد ما بيعلقوني بيهم.. وفجأة بيختفوا وبفضل لوحدي كأني ولا حاجة بالنسبة لهم.. كأني ديكور.. طب عارفة يا دكتور؟"

تعجبت من مناداته لها بذلك اللقب ولكنها لم تشأ قطع ذلك السرد فردت مطالبة إياه بالاستمرار.. ليستدير لها ويبدأ الحديث بنبرة المُنهك من مقاومة البكاء:-

"أنا عرفت بنات بعدد شعر راسك.. كل واحدة منهم خدت مني حاجة وهي ماشية.. كنت مرحلة في حياة كل واحدة فيهم.. فيه اللي كانت بتمر بفترة صعبة وكانت محتاجة اهتمامي.. ومجرد ما عدت الفترة دي خلاص مبقاليش دور.. ومنهم اللي عرفتني عشان تغيظ صاحبتها اللي كانت مصاحباني قبلها.. واللي عرفتني عشان تتعلم جيتار.. واللي عرفتني عشان فلوسي.. كل واحدة من دول كنت بعتبرها هي الحياة.. كنت بعتبرها هي الأم اللي ماشوفتهاش.. والأخت اللي مكتبليش تكوناي، الغريب.. أن كلهم بعدوا.. الغريب أني لوحدي.."

أنهى "كريم " حديثه سامحًا لأمواج الدموع المحتجزة بالانهمار وسط متابعة "هدى"، لم تتخيل يومًا أن ترى دموعًا مصدرها عيني ذلك الشاب دائم الابتسام.. أو كما اتضح الآن "التظاهر بالابتسام"..

اقتربت منه وقد تملكت الشفقة من قلبها نظرًا لبكائه الذي وصل حد النحيب، مدت يدها بتردد في محاولة لمواساته حتى لامست وجنته الباردة وبدأت في مسح آثار تلك الدموع المتبقية قائلة:-

- سيبك من كل ده.. أنت بتعزف جيتار بجد؟!

وكأنه وجد ضالته بتغيير مجرى الحوار.. فعادت ابتسامته للظهور وعادت الثقة لتحل محل الانكسار بنظراته وهو يرد عليها:-

- أنا كنت فاتح مركز لتدريب الجيتار.

- طب وقفلته ليه؟!

- مقفلتوش.. بس معادش ليا مزاج اعلم حد.

- طب تعرف أن أنا من صغري نفسي اتعلم جيتار؟

- بجد؟؟.. تعرفي أني عندي مزاج جدا اعلم الناس جيتار

انطلقت ضحكاتها على طريقته الطفولية.. قبل أن تتساءل بجدية:-

- اتفقنا هتاخد مني كام؟؟.. بيزنيس اذ بيزنيس.

- ما دام أنتي مصممة.. فأنا هاخد مقابل.. بس مش فلوس.

عادت لرفع حاجبها الأيسر.. ليتدارك هو الموقف:-

- لا ابوس ايدك بلاش رفعة الحاجب دي.. ما صدقت خلصت منها.. لو عايزاني اعلمك جيتار توعديني وعد.

- وعد؟؟ وعد ايه؟

- نفضل صحاب على طول.. ممكن؟

شعرت وللمرة الأولى منذ زمن بأهميتها.. شعرت وأن أحدهم يعتبرها مركز الأرض ونواة الحياة، فتبسمت وهي تهز رأسها إيجابًا.. وهي تردد:-

- اتفقنا.

***

"أنت بتقول أيه يا هشام؟!!.. قوات أيه ودوريات أيه اللي ننشرها.. أنت مش عايش معانا في الدنيا؟!"

هكذا صاح اللواء "عاصي الدهشوري".. مساعد مدير أمن الجيزة بوجه هشام، ردًا على سرده لأحداث الجريمتين المتتاليتين وطلبه بنشر دوريات مكثفة من الشرطة خوفًا من زيادة الجرائم وتكرارها، ولكن العقيد لم ييأس بل حاول إثبات وجهة نظره قائلاً:

- يا سيادة اللواء.. كل الأدلة بتؤدي أننا بنواجه سفاحة مجهولة.. قتلت رجلين مالهاش أي علاقة بيهم وبدون وجود دوافع، ده غير أن الجريمتين تموا في حيز جغرافي صغير.

انطلق الصوت الجهوري للواء قائلاً:

- أنت عايزني اكلم سيادة اللواء مساعد وزير الداخلية.. أقوله سيبك من المظاهرات ومن الشباب اللي محاصرين الوزارة.. عشان فيه ست بتقتل رجالة؟

هشام:- يا فندم ما ده شغل وده شغل وبعدين أنا شايف..

قاطعه اللواء بلهجة آمرة:

- يا هشام إحنا مش فاضين للكلام ده، البلد بتولع وأنت بتقولي سفاحة.. اصبر شوية كلها أسبوع وفيه برنامج جاي من بره بيطابق الحمض النووي والبصمات.. ابقى دور يا سيدي عاللي أنت عايزه.. مفهوم؟

أدى هشام التحية العسكرية مطلقًا آلاف اللعنات الصامتة والتي ترجمتها شفتاه على هيئة "مفهوم يا فندم"..

أدار وجهه ليخرج من المكتب مشهرًا علامات الغضب المتسلح بأنياب اليأس.. ليجد صديقه البدين بانتظاره، وقد نجح أيمن في قراءة نتيجة محاولته.. فابتسم ساخرا:-

- مش قولتلك يا هشام هتتعب روحك على الفاضي.

زفر هشام ضيقًا وهبطا كلاهما بعدما قررا المكوث بإحدى الكافيتيريات القريبة من المديرية، طمعًا في بعض النسمات الباردة المحملة برائحة المطر.. وبعد صمت لم يدم طويلًا استغله هشام في

إرسال رسالة نصية إلى صديقه "شُهدي" يخبره فيها بضرورة ملاقاة تلك الطبيبة اليوم.. حتى بدأ أيمن الكلام:-

- أخبارك أيه أنت ومراتك ؟؟.. لسه برده كل واحد في حاله؟

ابتسم العقيد ابتسامة أسى وهو يهز رأسه هزات بالإيجاب.. ليستكمل أيمن حديثه:-

- طب وناوي على أيه؟؟ هتطلق؟

تنهيدة حملت الكثير من الضيق كانت رد العقيد، قبل أن يجيب:

- أنا أخدت بنت عمي يا أيمن.. وطلاقنا ممكن يوقع عيلة في بعضها.. أبويا بقى الله يرحمه ويسامحه هو اللي صمم أني اتجوزها.

- قولتلي.. عشان كده من ساعة ما ابوك مات السنة اللي فاتت والمشاكل ظهرت..

أومأ هشام رأسه إيجابًا ليستكمل أيمن حديثه:-

- طب مفيش أمل تحاول مرة أخيرة؟

ابتسم هشام سخريةً من ذلك الاقتراح قبل أن تتحول سخريته إلى التبرير قائلاً:

- يعني 15 سنة جواز ما نفعتش محاولاتي.. المحاولة دي هي اللي هتفرق؟.. المشكلة يا أيمن أني طول عمري بحلم بشريكة حياة مثقفة وليها حياتها العملية.. تناقشني واناقشها، تزن عليا وتحكيلي مشاكلها وتسمع شغلي، بدور على شريكة حياة مش زوجة وأم.. (راجية) مراتي إنسانة بسيطة يادوب بتفك الخط بالعافية.

- طب وبنتك؟

- أنا بنتي دلوقتي في أولى ثانوي.. وكلها سنتين وتخش جامعة.. هاجيبها جامعة القاهرة هنا وتختار مسار حياتها بإرادتها.

ضرب أيمن أخماسًا بأسداس تعجبًا من حديث صديقه قبل أن يعبر عن ذلك بالقول:

- أهو أنت يا هشام معاك نعمة مش مقدرها، طب أنت عارف أنا كل مشكلتي مع هدى مراتي أنها مش زوجة.. لسه عايشة في دور البنت المخطوبة اللي عايزة تحكي لخطيبها مشاكلها وهو يسمعها ومايملش، مش مقدرة أنا بتعب قد أيه يا هشام.. مجرد ما اخش البيت تفضل ترغي وأنا ببقى هموت وأنام.

ارتشف العقيد أخر قطرات قهوته وتحدث بنبرة اكتست بالحزن قائلاً:

- محدش عاجبه حاله يا أيمن، مع أننا كرجالة أساسًا مانتعاشرش.. طب مش يمكن إحنا اللي مش عارفين نتعامل معاهم؟

ابتسم أيمن بثقة كبيرة قبل أن يتحدث مازحا:-

- اتكلم عن نفسك لو سمحت، أنا بقالي كام يوم مرتاح من زنها.. مشيتها على عجين ما تلخبطوش.

نظر إليه العقيد مترددًا في الرد، فهو يعلم أن امرأة بثقافة زوجة صديقه.. لن تقبل أبدًا الاستسلام.. أراد إخباره بأن المرأة كالطفلة المدللة لا تكف عن الإزعاج أبدًا وإن كفت فلابد أن أحدهم قد قدم لها الحلوى، ولكنه آثر السكوت.

"اشتعلت اشتباكات عنيفة منذ لحظات أمام وزارة الداخلية بين قوات الأمن ومجموعة من المتظاهرين المطالبين بالقصاص لدماء من

قُتلوا بأحداث يناير وما تلاها.. وأنباء عن وقوع قتلى.. لمزيد من التفاصيل ينضم إلينا مراسلنا من قلب الحدث".

قطع صوت التلفاز ذلك الصمت، ليسلط ضابطا المباحث انتباههما على المراسل الذي أفاض بوصف الأحداث وأكد وقوع إصابات خطيرة ليتحدث أيمن بنبرة غاضبة:-

- طب دول أيه اللي موديهم لاظوغلي (شارع وزارة الداخلية)؟

- نفس اللي خلانا نشك في أروى.. ونحبسها

سقط الرد كالمطرقة على رأس المقدم الذي تساءل:

- أروى.؟!! بقولك أيه يا هشام أنا معنتش بفهمك.. أيه علاقة أروى بالمظاهرات؟

أشعل هشام إحدى لفافات النيكوتين.. وزفر أولى أنفاسها بضيق قبل أن يتحدث بنبرة استحوذت عليها أفكاره الفلسفية قائلاً:-

- الغموض وغياب الحقيقة.. إحنا ظلمنا أروى بس عشان مش عارفين الحقيقة.. غياب الحقيقة أشبه بالوباء العقلي، سرطان بيحول المصاب بيه لوحش معدوم العقل والشعور.

- جايز يكون معاك حق أننا ظلمنا أروى.. بس إحنا بندور عالحقيقة.. لكن هم لأ.

- وهم في نظرهم بردو بيدوروا على الحقيقة.

- حتى لو بيدوروا عالحقيقة.. أسلوبهم مش صح.

- الصح.. الغلط.. الخير.. الشر.. كل دي مفاهيم نسبية.. بتختلف باختلاف المعايير والظروف يا أيمن.. ممكن الصح بالنسبة ليهم يكون غلط بالنسبة لينا.. والخير في مفهومنا شر في مفهوم غيرنا.

- أنا نفسي بس يفهموا أن ظابط الشرطة لو ضرب غاز مثلًا.. مبيضربش بمزاجه.. دي بتبقى أوامر.. وأنت عارف يا هشام أننا منقدرش نخالف الأوامر.. يعني مبنعملش حاجة غلط.

"سننتقل الآن على الهواء مباشرةً لتغطية المؤتمر الإعلامي المنتظر والذي سيعقده الناشط السياسي ورئيس حزب "الأخلاق الحميدة".. المحامي.. حمدي أبو الحمد.. وكان حمدي قد أكد أنه سيشهد الكثير المفاجآت.. فإلى هناك"..

بهذه الكلمات عاد صوت المذيع الأجش ليقطع الحديث بين هشام وأيمن.. ليصمتا ويبدءا بمتابعة الناشط السياسي الأربعيني المعروف ذو الشعر قامت السواد والملامح الحزينة التي تعتري وجه مستدير أبيض البشرة ذي لحية مهذبة نوعًا ما وشارب سميك.. بدأ حمدي الحديث كعادته بطلب الوقوف دقيقة صمت على أرواح الشهداء وبعد انتهاء تلك الدقيقة.. جلس على منصته لتتصدر الخلفية من ورائه صورة ضخمة تحمل شعار "عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية" ويبدأ حمدي الكلام:-

"بسم الله.. بسم الشعب.. بسم الأخلاق الحميدة والحرية.."

في البداية اشجب واستنكر الاعتداءات اللي حصلت عالمتظاهرين انهرده.. وكأن نظامًا لم يسقط.. وبوجه رسالة لكل من في يده الأمر احذروا نفاذ صبر الثوار.. احذروا الغضب.. احذروا الانفجار.. وبقول للشباب الصامد.. أشد على أيديكم وبكل قوة، إما فيما يخص سبب المؤتمر.. فأنا بفضل من الله ومساعدة من أعواني وشباب حملتي".. بالأخلاق نحيي" حصلت على مستندات هتهز مصر.. مستندات هتوضح قضايا فساد.. وتبين مين المستفيد من تأخير القصاص للشهداء.. وأدعو شعب مصر كله لمتابع الكشف عن القواضي دي.. اللي بيتم

ترتيبها وتقديمها للنائب العام حاليًا.. ميعادنا بعد بكره في نقابة المحاميين عقب صلاة الظهر للكشف عن تلك القضايا واستأذنكم مضطر أنهي المؤتمر دلوقتي لأني رايح انضم للشباب في الاشتباكات."

هم هشام بالتعقيب على خطاب ذلك السياسي، إلا أن اهتزاز هاتفه منعه من ذلك، أمسك بالهاتف ليجد رسالة نصية واردة من صديقه الطبيب يخبره فيها بانتظاره الآن.. استأذن العقيد من صديقه متعللًا بأمر هام يخص القضية وانصرف على عجلة من أمره.

***

تجلس على مكتبها والضجر يملأ فؤادها وتمتد أواصره حد ملامحها، تمسك بالعديد من الأوراق لتكتب بعض التقارير الغبية التي تعلم تمامًا أنها لا تسمن ولا تغني من جوع.. تتحرك يدها بالقلم لتخط بعض الجمل الرتيبة والتي تتفوق في رتابتها على خطابات الحكومات والسياسيين.. ليكون النتاج المزيد من الملل.

طرقات على باب مكتبها ولجت بعد تلك الطرقات كبيرة الممرضات السمينة مخبرة إياها:-

"دكتور شُهدي عايزك في مكتبه حالًا"

أومأت رأسها ببطء وتركت مهمتها المملة لينتصب قوامها وبدأت المضي قدمًا.. وصلت إلى غرفة مكتبه وما أن لامست يدها بابها حتى صاح مدير المشفى سامحًا للطارق بالدخول بصوته الأجش.. ولجت إلى مكتبه والتوتر يسيطر على خطواتها خصوصًا في وجود ضيف غير مألوف بالنسبة إليها والذي هب واقفًا تزامنًا مع دخولها معلنًا عن طول قامته بمنكبيه العريضين، مبتسمًا بشاربه الكثيف وملامحه الجادة التي تظهر أنه في بداية الأربعينيات على الأكثر، وبرغم عدم ارتدائه لملابسه الرسمية إلا أنها شعرت بمجرد النظر إلى هيئته لاسيما

ذلك الانتفاخ بجانب خصره والذي يلائم حجم مسدس وراه بمعطفه، أنه يعمل بوزارة الداخلية، وهو ما أكده بنفسه بمجرد اقترابها منه شاهرًا يده بالسلام قائلاً:-

"عقيد هشام عبد ربه.. مباحث جنائية"

تشابكت أصابعهما وأطالا النظر بعين بعضهما البعض، قبل أن يقاطع شُهدي تلك النظرات قائلاً:

"اقعدي يا عُلا"

هكذا أمرها فجلست لتواجه "هشام" وقد بدت على عينيها علامات التوتر والقلق مفكرة في ماهية الخبر الذي سيزفه الآن الدكتور شُهدي:-

- العقيد هشام كان عايز مساعدة الطب النفسي في جريمة.. وبصراحة مالقتش أحسن منك.. خصوصًا أنها جريمة المشتبه فيها أنثى..

هكذا صاغ رئيس القسم الخبر فانفرجت أساريرها وكأنه أمطر أذنيها بوابل من المدح، أخيرًا ستتولى مسئولية ولو حتى كانت تلك المسئولية لا تتعدى رأيًا طبياً، أخيرًا ستتخلص من شعور العالة والمكوث بمكتبها بلا فائدة، أخيرًا قد حانت فرصة إثبات جدارتها وتطبيق مذهبها العلمي عملياً، قطع انفراج أساريرها قيام مدير المشفى من مكتبه وهو يقول:-

- في الحقيقة أنا مضطر أسيبكم حاليًا.. هشام المكتب مكتبك لو احتجت أي حاجة كلمني.

أنهى جملته ونظر إلى عُلا بأعين مبتسمة متمنية التوفيق.. لترد له نفس النظرات التي حملت معنى الشكر.. وانصرف شُهدي من مكتبه تاركًا لهم المجال للحديث.

بدأ هشام في سرد تفاصيل الجريمتين والتي حفظهما عن ظهر قلب وسط متابعة الطبيبة لحديثه، قبل أن يمسك بملف ورقي مادًا يده به إليها منهيًا حديثه قائلاً:

- وده ملف فيه كل تفاصيل الجريمتين والمجني عليهم.

أمسكت بالملف وقد اختفت ملامح السعادة من عينيها، وعقدت حاجبيها الخفيفين قبل أن تقول:

- أيوه يا فندم.. بس المعروف أن دور الطب النفسي في الجرايم بيجي بعد القبض عالجاني مش في مرحلة البحث عنه.

أطال النظر بعينيها وكأنه يبحث عن قصدها بهما ثم قال:

- عارفة.. من أكبر مشاكلنا عمومًا أن كل واحد بيدور على دوره وبس، أنا نفسي ظلمت بنت غلبانة رغم أني كنت متأكد من براءتها.. لمجرد أنه مش دوري، واضح أن شُهدي كان غلطان لما اختارك.. بعد إذنك.

هم العقيد بالانصراف تاركًا الطبيبة تتخيل عودتها خالية الوفاض إلى مكتبها الصغير كئيب المنظر والهيئة.. لتُحبس بين أوراقه عديمة الفائدة.. فصاحت به قائلة:

- استنى ثواني.

سحب العقيد يده من على مقبض الباب مديرًا رأسه إليها لتبدأ بالحديث قائلة:-

- قولي أيه المطلوب مني بالظبط.. أنا معاك.

اقترب العقيد من مكتبها مرة أخرى مداريًا ابتسامة انتصار نظرًا لنجاح خطته، قبل أن يعاود الجلوس مرة أخرى أمامها ويبدأ بالحديث:-

- شوفي يا دكتورة.. إحنا تحرينا عن كل علاقات المجني عليهم.. مفيش أي طرف خيط يؤكد أن الجاني يعرفهم.. والجرايم مكنتش بسبب سرقة، بل مكنتش بسبب أصلًا.. عشان كده أنا بفترض أن عمليات القتل تمت بطريقة عشوائية، جايز يكون افتراضي مش صح، لكن اللي هيأكدلي صحة افتراضي من عدمه هو الطب النفسي، أنا بفترض أن الجانية لا كانت تعرف سليم ولا عامر، لأسباب كتير يطول شرحها.. كل اللي طالبه من حضرتك مبدئيًا هو أنك توضحيلي.. هل افتراضي ده وارد الحدوث؟!

- حضرتك تقصد أن القاتلة تكون مريضة نفسيًا أو مُعقدة من الرجال مثلاً؟

أومأ العقيد رأسه ببطء داعيًا الطبيبة لإجابة سؤاله، وهو ما فعلته بعدما بدأت ملامح الثقة في الصعود تدريجيًا على ملامح وجهها قائلة:-

- شوف يا افندم، جرايم القتل المتسلسلة اللي قامت بيها الستات ضد الرجالة موجودة من زمان جداً، لكن الفكرة في الدافع.. أيه اللي يخلي ست أو حتى راجل يقتل بدون سبب وبطريقة عشوائية.. للأسف ده حصل قبل كده كذا مرة وهنا ظهر دور الطب النفسي في الجريمة.. عالعموم اديني فرصة أقرا الملف وإن شاء الله أقدر أساعدك.

هبا كلاهما لتتقابل عيناهما من جديد ويتبادلا أرقام الهواتف، قبل أن يصافحها العقيد مستأذنًا بالانصراف.

***

هي تلك المياه الدافئة التي تزيل ذلك الإجهاد الناهش بأطراف الجسد، وقف أيمن سامحًا لتلك القطرات بالانهمار على جسده السمين علها تعيد إليه صفاء ذهنه الذي فقده منذ بداية تلك الجرائم اللعينة، أنهى استحمامه وبدأ بارتداء ملابسه عازمًا على إصلاح ما أفسده انشغاله الدائم مع زوجته، دخل إلى غرفته ليجد زوجته ممددة على سريرها ممسكة بحاسوبها كعادتها في الآونة الأخيرة، لكن ما لفت نظره هي تلك المساحيق التي زينت بها بشرتها الجميلة، فابتسم ظنًا منه أنها تشعر بما يشعر هو به.. وأن تلك الليلة ستنتهي بمضاجعة لا محالة.. ألقى بجثته الضخمة بجوارها وبدأ بالحديث:-

- أومال أيه الجمال ده كله؟!

التفتت له كمن أفاق لتوه من غفوته قبل أن ترتسم على شفتيها ابتسامة ظنها هو صادرة له، ولكن في الحقيقة لم تكن إلا تذكر لحديث "كريم" لها عن أن اهتمام المرأة بنفسها ما هو إلا انعكاس لاهتمام الآخرين بها.. فأدارت وجهها مرة أخرى لتستقر عيناها بالحاسوب، ليبدأ هو الكلام:-

- هدى أنا عارف أني مقصر معاكي الفترة اللي فاتت بس والله فيه قضية شاغلة بالي اليومين دول.

- ولا يهمك.. ربنا يكون في عونك.

تعجب من أسلوبها الهادئ الخالي من الغضب الذي اعتاده منها، حتى أنها لم تكلف نفسها عناء رفع ناظريها تجاهه أثناء حديثها إليه، فتحدث مرة أخرى محاولا إيجاد مجرى للحديث:-

- طب ما تسيبي اللاب توب وتقعدي تتكلمي معايا.

استجابت لطلبه كالآلة، لتنظر إليه بأعين باردة خالية من الاهتمام.. ولكنه تغاضى عن ذلك وبدأ بالحديث واصفًا هاتين الجريمتين وصفًا مملاً، صحيح أن مضمون حديثه قد استحوذ على جزء من انتباهها لاسيما بذكره أن القاتل امرأة، ولكنها لم تبد ذلك بل حافظت على ملامحها الجادة، أرادت مقاطعته عشرات المرات لتنبيهه ببطلان حجته، وأن الإهمال طبع قد استأصل فيه.. ولكن حتى طاقة العتاب قد نفدت فاستمرت بالسماع دون مقاطعة ولا اهتمام.. فقط رددت بداخلها "ليتهم يعلمون أن عتابنا محبة، وتجاهلنا نفاد"..

وأثناء وصفه وتبريراته تعمد مد يده ليمسك بيدها دون أن تحرك هي ساكنا، ولكنها على الفور فهمت ما ترمي إليه تلك الفعلة.

***

العاشرة مساءً بأحد كازينوهات شارع الهرم الشبه خال من رواده نظرًا لظروف الاشتباكات الحادثة مساءً بالإضافة إلى برودة الطقس التي رفعت رايتها لتدق طبول الكساد على تلك المنطقة بمثل ذلك التوقيت من كل عام.. خرج من الكازينو مرتديًا غطاء الرأس الأسود المنسوج من الصوف ويلف حول عنقه قطعة أخرى من الصوف (كوفية) تحمل نفس اللون.. متأبطًا فتاة عشرينية ذات بياض ناصع وشعر كستنائي حريري وضحكاتهما لا تتوقف قبل أن يصدر هاتفه نغمة رنين أجبرته على وضع إصبعه فوق فمه وهو يشير إلى الفتاة بالصمت التام ليجيب على الهاتف.. قبل أن ينفعل رافعًا صوته قدر الإمكان موجهًا حديثه إلى زوجته:-

- لا مش جاي هبات بره انهرده عندي كذا حاجة بخلصها.. فلوس أيه؟! هو أنا بسرق يا جدعان؟!.. بطاطس؟!.. أنت مش عايشة في الدنيا يا حجة ولا أيه.. بقولك أيه سلام أنا مش فاضيلك.

أغلق الاتصال وهو يزفر بضيق قبل أن يتحدث إلى الفتاة الممسكة بيده:-

- الحلو مايكملش أبدًا.. ليه دايمًا الست المحترمة نكدية؟

ردت عليه الفتاة بصوت واهن حمل كل أنواع الغنج :-

- كده يا ميدو؟؟ يعني أنا نكدية؟.

- أيه ده هو أنت بقيتي محترمة وأنا معرفش؟

انطلقت ضحكاتهما لتخترق سكون الأجواء حتى وصلا إلى حد السعال قبل أن يتمكنا من التماسك وإبطال تلك الضحكات المبالغ فيها، هما بالانصراف قبل أن تتوقف الفتاة واضعة يدها على رأسها ندمًا وهي تقول:-

- أنا نسيت التليفون عالشاحن

- فالحة يا روح أمك.. خشي هاتيه وأنا هجيب العربية من الجراج وأجيلك.

أطاعت الفتاة أوامره على الفور، وترجل هو تجاه الجراج الخاص المجاور للكازينو دون أن يعي أن آذانًا قد استمعت لأحاديثه ولم ترق إليها، أن أعينًا قد تربصت به وأن سيقانً قد لاحقته مستغلة عباءة الليل المسدلة على الأجواء.

ولج إلى الجراج الخالي من حارسه مترنحًا بفضل عبث ما احتساه من خمر بعقله، أما هي فقد حان دورها.. انطلقت زمجرتها الغاضبة، وبدأت الدماء بالغليان حتى انتفخت عروقها، تشنجت أطرافها وفقدت التحكم فيها، فانطلقت تجاهه كفهد مأمورٍ بجني روح فريسته، وما أن وضع يده على مقبض باب السيارة.. حتى انقض ساعدها ليلتف حول عنقه معتصرًا إياه بقبضته، حاول الصراخ

ولكن أنفاسه لم تسعفه.. فاستجمع كل ما بقى له من قوة ليمد يده إلى رأس خانقه ليزيح غطاء الرأس عنها، ويقبض بكل ما أوتي من قوة على أحد خصلاته جاذبًا إياها، ولكن لم تمكنه تلك الفعلة من الفرار بل على النقيض اشتدت قبضة الخانق، وفاجأته بحركة مميتة دوت على إثرها طرقعات من عظام رقبته المنكسرة ليسقط توًا على الأرض مفارقًا الحياة، ولكنها لم تكتفي.. بل ارتمت فوقه لتمتطي جسده وتوجه إلى أنفه لكمات قوية متتالية.. حتى أنفجر الدم منها.

لهثت أنفاسها وبدأت قواها بالانهيار فقامت عنه بأعين باكية.. مستندة على سيارته حديثة الطراز.. ولاذت بالفرار.

***

انطلقت نغمة هاتفه المزعجة.. لتنهي علاقة لم تدم لأكثر من عشر دقائق.. فهب من موضعه لاهثًا تجاه هاتفه ليرد وقد بدا على صوته الصدمة:-

- فين؟؟!!.. أنا جاي حالاً.

هب من على فراشه وهو يعتذر ويبرر:-

- جريمة قتل بنفس الطريقة يا هدى.. لازم انزل حالاً.

هزت رأسها بهدوء هزات تنم عن التفهم، أما بداخل ذلك الكيان الهادئ فقد كان على نقيض ظاهره، نارٌ موقدة.. بركان قد اشتعل داخل تلك الأعين الباردة، تنظر له لتتابع تحركاته اللا مبالية لما تشعر به الآن حتى انصرف تاركًا جمرة على صورة أنثى، استمرت "هدى" في محاولة تجاهل تلك النيران التي خلفتها هزاته المبهمة.. والتي بالطبع لم تنته سوى بإطفاء شهوته.. غير مبال بتلك الآلة الراقدة تحته.. ليأتي ذلك الاتصال رافعًا عنه الحرج المُعتاد، تلك الهزات التي أعقبت مجموعة من القبلات الروتينية والكلمات الرومانسية التي لا تصل إلى أذنيها إلا بتلك الحالة، ثم.. لا شيء.. وكأنه ينتظر تجاوب رغباتها معه حتى يعلن انتهاءه منها، فيقوم عنها وعلامات الانتصار تغزو عينيه غير مبال بألسنة النيران التي بدأت باستعمار تلك الأنثى.. وكأنها وسيلة لقضاء حاجة شهوته لا شعور لها ولا رغبة.

ها هي تجلس على فراشها وما زالت الرغبة التي أضمرها ذلك الزوج تلتهم عقلها قبل جسدها التهاما، لم ينجح يومًا في إشباع شهوتها أو حتى الاهتمام برغباتها وهو ما جعل من ممارسة الجنس بمثابة عذاب نفسي وجسدي لها، ما زالت تحاول السيطرة على تلك الشهوة اللعينة التي تمنع النوم من الوصول إلى عينيها، فقررت اللجوء إلى حاسوبها في محاولة لإلهاء عقلها اللاهث.. وما أن فتحت

موقع التواصل الاجتماعي.. حتى أتتها تلك الرسالة التي ظنت أنها السبيل للخروج من تلك الوضعية:-

- مش قولتي هتقفلي وتقعدي مع جوزك؟!

نظرت إلى الرسالة الواردة من "كريم"، وكأنها مشرط يفتح ذلك الجرح الغائر بقلبها.. لترد عليه:-

- جاله مكالمة ضروري من الشغل ونزل.

وما أن أنهت أناملها إرسال تلك الإجابة.. حتى جاء رد كريم:-

- هو على طول كده بره؟؟!

لم تجد ما يناسب للرد على سؤال ذلك الصديق حديث العهد، فآثرت الصمت.. ولكن عينيها قد أجابا بقطرات من دموعها الساخنة كما حالها.. ليتابع "كريم" حديثه:-

- مع أن أي واحد مكانه مفروض ما ينزلش من بيته أصلاً، حد يبقى معاه واحدة زيك وينزل.. طب عارفة أنا لو كنت مكانه كان زماني مرفود من أي شغل وفاشل أكتر ما أنا....

نجحت إجابته في شق طريق للابتسام على شفتيها فأجابت:-

- اشمعنى؟!

- حد يبقى معاه واحدة بجمالك يا هدى ويسيبها في البيت لوحدها على طول؟!

وبرغم بساطة تلك المغازلة التي يمكن وصفها بالمجاملة.. إلا أنها أزادت من اشتعال جسدها، لتجعل من محاولة إلهاء عقلها بالحديث معه كالنفخ في النار.. فازدادت ضربات قلبها.. وبدأت تشعر بتلك النبضات الغريبة تجتاح جسدها كله، لتنهمر حبات العرق كاللؤلؤ على

ذلك الممر الخمري برقبتها، فتحركت يدها رغمًا عنها لتصل إلى ما بين فخذيها وهي مغيبة تمامًا بفعل الشهوة، وبدأت لا إراديًا بممارسة تلك العادة المعروفة عند المراهقات بشراهة كبير، سامحة للشهقات والتأوهات بالخروج علناً، وما زاد الأمر سوءًا هي تلك الأفكار اللا إرادية التي تدفقت إلى مواطن عقلها، فقد رأت نفسها بين يدي رجال تعرفهم ولا تعرفهم يلتهمون جسدها من أعلاه إلى أسفله دون رحمة منهم ولا طلب رحمة منها، استمرت بممارسة تلك العادة دون هوادة.. حتى نُسج بخيالها صورة ذلك الفتى مفتول العضلات "كريم" وهو ينظر إلى جسدها قبل أن يهم بالتهامه التهامًا وما أن صاغ عقلها ذلك المشهد، حتى انتابتها تلك الرعشة الغريبة التي لم تنتابها يومًا أثناء ممارسة الجنس الفعلي لتصرخ معلنة انتهاء رحلتها.. وتتنهد كمن جرت لتوها أميالًا وأميالا، ولكن الغريب هي تلك الابتسامة التي اعتلت شفتيها وتلك الراحة التي غزت نفسها والتي لم تشعر بها من قبل.

***

لم يكن قد زار النوم أجفانه بعد.. شيء ما قد أخبره ألا يستسلم لهجمات النوم.. شيء ما أخبره بأن لتلك الجرائم فصلًا آخر سيتم كتابته اليوم وقد كان الجاني عند سوء ظنه، أصدر هاتفه نغمة الرنين.. لينظر إلى اسم أيمن الظاهر بخانة المتصل فيضغط على زر الإجابة وهو يعلم ما سيخبره ذلك المقدم السمين الذي تحدث برعب قائلاً:-

- هشام باشا.. جالنا إشارة بجريمة ثالثة مشابهة للجريمتين السابقتين بجراج خاص في شارع الهرم.. بس.. ال.. اصل....

صمت المقدم وبدأت أحرفه بالتخبط واللعثمة وهو يحاول إخبار العقيد هشام بالشق الثاني من الخبر، وبخبرة رجل المباحث المخضرم

شعر هشام بذلك التوتر المسيطر عليه.. فأجابه بصوت منهك من مقاومة النوم:-

- فيه أيه يا أيمن؟!

ليرد أيمن مذعوراً:

- كارثة يا هشام باشا.. المجني عليه الثالث.. يبقى حمدي أبو الحمد.

ضربات قلب قوية تزامنت مع ذلك الصداع الذي غطى جفنيه منذ أن أغلق الخط مع المقدم أيمن.. قاد سيارته راسمًا بمخيلته كم الضجة التي ستثار بالإعلام والشوارع خاصةً عند مدمني نظرية المؤامرة.. خصوصًا مع إعلان "أبو الحمد" عن مستندات بحوزته لقضايا فساد لكبار المسئولين بالطبع سيقولون أن هؤلاء هم المسئولون عن مقتله.

توقف حديث عقله للحظات وهو يدقق في تفاصيل تلك المؤامرة.. كاملة الأركان.. ربما نمى إلى معلومات أحدهم أحداث جرائم تلك السفاحة الغامضة، فاستغل تلك الأحداث للفتك بـ (حمدي).

"أيه يا هشام.. أنت هتفكر زيهم ولا أيه؟"

هكذا حدث نفسه محاولًا إيقاظ عقله من تلك الأوهام، وصل إلى مسرح الحادث ليجد تكدسا من رجال الصحافة والإعلام.. يفوقون عدد رجال الأمن والفحص الجنائي، هبط من سيارته ليجد أيمن بانتظاره، فصحبه ليتخطيا ذلك الزخم الإعلامي تحت أضواء الكاميرات وأسئلة المراسلين من كل جانب.. حتى دخلا ذلك الجراج الخاص.. "مسرح الجريمة" ليجد ذلك الرجل الأربعيني ملقى على ظهره، وعنقه مليء بالسحجات في مشهد مماثل للجريمتين السابقتين..

ولكن المختلف هو شلال الدماء المنفجرة من أنفه، ولم يكن ذلك الاختلاف الوحيد.. فقد لاحظ هشام تلك الخصلة التي قبض عليها "ابو الحمد" بمعصمه.. والتي على ما يبدو أنها تخص القاتلة.

نظر العقيد هشام إلى المقدم وبدأ بسؤاله:-

- ده جراج خاص.. يعني مفروض ليه أمن صح؟

- فرد الأمن كان مزوغ من الوردية للأسف ومتحفظين عليه حالياً

أضاق هشام عينيه ضيقًا وزفر وهو يرفع رأسه إلى أعلى كمن ضاعت عليه فرصته الوحيدة للنجاة، ليُثبت ناظريه على كاميرا المراقبة الموجودة بسقف الجراج، ليبتسم وينظر إلى أيمن نظرات تساؤل ليرد الأخير:-

- للأسف يا فندم الكاميرات مش شغالة.

***

جلست بأنفاسها اللاهثة، تحاول قدر الإمكان السيطرة على يدها المرتعشة.. ممسكة بورقتها البيضاء وقلم.. ثوان قليلة حاولت خلالها سحب قدر كافي من الأكسجين ليمكنها من التماسك.. ثم بدأت بكتابة رسالتها ردًا على رسالتي "رابونزل" و"فانتين":-

الإثنين 12نوفمبر.. 2012

الصديقات العزيزات المنتميات لمعشر النساء، أرسل إليكن تحياتي المختلطة بكل معاني الأسى والمواساة أما بعد:-

في البداية أعرفكما بنفسي على الشاكلة التي اقترحتها رابونزل وسارت عليها فانتين وهي الاسم المستعار:-

أنا.. المرأة الآلية

اعتقد أن ذلك الاسم هو الأنسب إلى حالي.. فبعد أن عانيت الأمرين من تسلط الأهل وذقت اضطهاد الذكور وضغوط تأخر الزواج.. ألقيت بنفسي بفخ الزواج.. واستسلمت، أما عن العمر.. فقد بلغت تلك المرحلة التي تُركن بها المرأة على رف الإهمال وتعامل معاملة الخردة بعد فترة ليست كبيرة من الزواج.. ذلك الزواج الذي قبلت به.. طمعًا في انتهاء الضغوط وتغيير الواقع وكان لي ما أردت.. فقد تبدل الحال.. فبعد أن قضيت السبعة وعشرين عامًا الأولى فقط لإرضاء أهلي.. هربت من ذلك الجحيم لأقضي ما تبقى لي من عُمري لإرضاء زوجي.

وبعد مرور ما يقرب من خمس سنوات، تناقص خلالهم اهتمامه بي تدريجيًا.. أعقب ذلك الإهمال صمت وبخل بالمشاعر حتى أن مجرد كلمة "بحبك" أصبحت دربًا من دروب الخيال إلا بليالي الخميس المقدسة التي تحولت هي الأخرى إلى مجموعة من الهزات المبهمة الخالية من أي إحساس أو متعة.. قبل أن تتناقص تلك الليالي هي الأخرى لتصبح بالمواسم والأعياد الرسمية غير مباليًا بشعوري ومتطلباتي.. حتى اكتشفت خيانته.

لا أجد من الكلمات ما يصف ذلك الشعور الذي لن تفهمه سواكي عزيزتي المنتمية إلى معشر النساء.. عندما يرقد بجوارك ذلك الجسد وأنتِ تشتمين عطر امرأة أخرى يفوح من مسامه.. تتخيلينه يعتليها ويمطرها بتلك الكلمات التي اشتقتِ إلى سماعها منه.. تتوقعين ضحكاته ومداعباته لها.. وددت أن أواجهه، ولكن لم أكن أملك الدليل.. فقط هو إحساسي.. بالإضافة إلى بعض التنصتات الأنثوية التي أكدت ظني وبعد فترة من التردد والتفكير واجهته بفعلته.. فأنكر.. ثم اتبع تلك السياسة الذكورية المعروفة (قلب الترابيزة).. ولم يطرأ جديدا سوى أنه زاد من حرصه، ولكن عذرًا زوجي العزيز فإحساس

المرأة يتفوق على أعتى أجهزة التجسس زد في حرصك وإنكارك.. تظاهر بالاهتمام والاشتياق.. عُد إلى ممارسة الجنس البارد الذي لا تهتم فيه سوى بإشباع رغباتك الذكورية دون أن تهتم برغباتي.. افعل ما شئت ولكنك لن تقدر على خداعي.. أو تغيير حكمي عليك بالخيانة.

فكرت كثيرًا في قرار الفراق ورضخت كالعادة لضغوط الأهل ومسمياتهم العقيمة من (نزوة وهتعدي.. استحملي عشان خاطر بيتك.. إلخ).

والآن وبعد مرور عشر سنوات على خيانته التي تفاقمت حتى اعتدت عليها.. أصبحت مهمشة.. أصبحت زوجة بدرجة خادمة.. أصبحت أدواري مقصورة على إعداد المأكل والملبس ومهام المنزل.. أصبحت امرأة آلية لا أحد يبالي بما تشعر ولن يبالوا.

لذا عزيزتي رابونزل.. حاولي قدر الإمكان تغيير حاضرك.. حتى لا يصبح غداكي حاضري.. تمردي انفجري.. ثوري على كل ما ترفضين.. واختاري ما تريدين.. فهي حياتك أنتِ.. وليس حياتهم.

أما أنت صديقتي فانتين.. فأياكِ والاستسلام إلى تلك الضغوط.. إياكِ والزواج فقط للهروب من شبح العنوسة.. ابحثي عن الحب وإما فلا.

وقفت المرأة الآلية مرتدية تلك العباءة السوداء المعروفة عند السواد الأعظم من النسوة بمرحلة ما بعد الزواج أمام باب منزل إحدى صديقاتها، وما أن انتهت من وضع رسالتها بصندوق الرسائل الخشبي المجاور لباب المنزل.. أدارت وجهها لتجد ذلك الرجل رافعًا حاجبيه حتى كادا يلتصقا بصلعته المضيئة.. متابعًا إياها وهي تهبط الدرج.

***

الفصل الرابع

ماري لويز

في أولى ساعات الصباح وبعدما انتشر خبر مقتل حمدي ابو الحمد كالنار في الهشيم، فامتلأت جنبات ميدان التحرير بالهتافات الصارخة باسمه واللافتات الحاملة لصورته بكل مكان، ليس فقط بميدان التحرير بل أيضًا بسائر الميادين بالمحافظات وبنقابات المحامين المختلفة.. ردد الجميع الهتافات التي تلقي بالمسئولية ليس على عاتق وزارة الداخلية فقط بل على النظام كله.. حتى وصلت حدة المطالب إلى المطالبة بسقوط الحكومة التي اشتركت على حسب رأيهم بمقتل "أبو الحمد" لإخفاء المستندات التي زعم امتلاكه لها أمس..

انتشرت قوات الأمن بكل مكان والتزمت بضبط النفس إلى أقصى درجة، ولكن كالعادة أشعلت شرارة صغيرة السنة نيران الاشتباكات، لتملأ رائحة ذلك الغاز البغيض المسيل للدموع الأجواء.. وتتزايد أعداد المصابين باستمرار.

وبمكتب مدير الإدارة العامة للمباحث الجنائية "اللواء عاصي الدهشوري" جلس بصحبة العقيد هشام.. يتابعان تلك المشاهد بمزيج من الرعب والقلق، حتى هب اللواء عاصي من مجلسه صارخاً:-

- الموضوع بدأ يزيد عن حده، البلد على صفيح ساخن.. وكله بيوزع اتهامات على مزاجه.. واضح يا هشام أني كنت غلطان لما أتهاونت بالقضيتين اللي قبل كده.. أيه الحل دلوقتي؟!

- سيادتك إحنا ما بنامش تقريبًا.. التحقيق جاري في القضية 24 ساعة في اليوم.

- يا هشام أنا عايز نتايج.. النائب العام شخصيًا قالب الدنيا.. أيه النتايج اللي ممكن نعرضها على الرأي العام لحد دلوقت.

- زي ما وضحت لحضرتك أن كل الشواهد بتأكد أن الجاني في قضية أبو الحمد هو نفسه في القضيتين اللي قبل كده.

- أنت متخيل يا هشام أننا نطلع نقول.. اللي قتلت أبو الحمد "واحدة ست" وكمان منعرفش هويتها.

- تحليل الحمض النووي في القضيتين بتوع سليم وعامر.. كانت نتايجهم بتدل أن..

خبطة من يد اللواء على مكتبه الخشبي.. قطعت حديث العقيد، ليتحدث الأول وقد تمكن الغضب منه تمام التمكن:-

- سيبك من عامر وسليم دول خالص.. أنا المهم عندي "أبو الحمد".. أيه اللي يخلي واحد زيه يكون متواجد في شارع الهرم؟

تعجب هشام من تجاهل اللواء لكون القضية تئول إلى وجود قاتل متسلسل، ولكنه لم يظهر ذلك بحديثه بل أجاب على "عاصي " قائلاً:-

"معلومات فريق البحث أكدت امتلاك حمدي ابو الحمد للكازينو المجاور للجراج اللي حصلت فيه الحادثة من الباطن.. وده اللي اعترف بيه المالك الرسمي للكازينو بمجرد تضييق الخناق عليه..".

للمرة الثانية يقطع اللواء سرد "هشام"، ولكن في تلك المرة قاطع حديثه فرحاً:-

- أبو الحمد عنده كباريه؟!

فهم "هشام" ما يقصده اللواء.. فتحدث بنبرة مُحذرة:-

- يا سيادة اللواء.. مينفعش ده يتقال للناس إلا بعد القبض على الجاني، وإلا هيفهموها محاولة لتشويهه.

وكأن اللواء "عاصي" لم يستمع للجملة التي تفوه بها هشام لتوه.. فانفرجت اساريره وهو يردد بصوت أشبه بتلاوة المانشيتات الصحفية:-

"مستندات تُثبت امتلاك رئيس حزب (الأخلاق الحميدة) لكباريه!"

قبل أن يمسك بهاتف مكتبه ضاغطًا أزراره ويبدأ بالحديث بكل فخر:-

- وصلني بمدير الأمن يا ابني.. وقوله في أخبار عن قضية أبو الحمد.

حدث ذلك وسط صدمة لم تخلو من الانزعاج سيطرت على ملامح العقيد هشام وهو يحاول إثناء سيادة اللواء عن ذلك، ولكن الأخير لم يستجب فبدأ بسرد تلك المعلومات بالهاتف، فسأم هشام وقرر الرحيل مؤديًا التحية العسكرية قائلاً:-

- هستأذنك أنا يا فندم.

هم العقيد بمغادرة المكتب كاظمًا غيظه إلا أن صوت اللواء أوقفه وهو يهم بفتح باب المكتب قائلاً:-

- هشام.. السيد مدير الأمن هيتابعني كل ساعتين.. عايز نتايج.. ربنا يوفقك.

هبط هشام محملًا بالإحباط والغضب كالعادة ليجد معاونه "أيمن" بانتظاره ليتحدث الأخير قائلاً:-

- مش محتاج اسألك عملت إيه.. وشك باين.. قولي ناوي على أيه؟

ليرد العقيد قائلاً:

- مش ملاحظ أن رغم وجود كاميرا في الحراج القاتلة نفذت جريمتها.

- تقصد أنها كانت عارفة أنها مش شغالة؟

ابتسم العقيد بثقة وهو يهز رأسه نفيًا قبل أن يجيب:-

- أنت وأنا عارفين أن اللي قتل حمدي هو اللي قتل الـ 2 اللي قبله.. القاتلة ماكنتش تقصده بالخصوص، ولا كانت تقصد سليم ولا عامر.

عقد أيمن حاجبيه السميكين دلالة على عدم فهمه، ليتابع هشام إيضاح وجهة نظره قائلاً:-

"اللي تقتل 3 بني آدمين بنفس الطريقة خلال 10 أيام ومن ضمنهم سياسي مشهور.. تبقى مش مدركة خطواتها.. طب سيبك من أن الـ 3 مافيش بينهم أي عوامل مشتركة.. ده لو حد مدرك اللي بيعمله كان عالأقل خد باله أو حاول يتأكد أن الكاميرا مش شغالة"

أيمن:- طب وليه ما نقولش أن فيه حاجة غامضة مشتركة بين سليم وعامر وحمدي إحنا ماوصلناش لها.. وأنها مخططة للجرايم التلاتة ودارسة كل حاجة.. بدليل أن سليم مثلًا اتقتل في مشوار متعود عليه كل أسبوع تقريبًا "درس بنته" وعامر اتقتل جنب "مطعمه" أما حمدي فالتحريات بتقول إنه يوميًا في الكازينو، يعني من الأخر ممكن تكون مراقبة الـ3 أشخاص ونفذت في الوقت المناسب.

- كان ممكن انضم لرأيك.. لكن حاجة واحدة بس هي اللي بتأكد كلامي وتنفي كلامك يا أيمن.

- حاجة أيه؟

داعب هشام خصلات شاربه كعادته عند التفكير قبل أن يتحدث قائلاً:-

- خصلة الشعر اللي كانت في أيد حمدي، لو مشينا مع افتراضك أن القاتلة دارسة كل خطواتها، معقول ما تحسش بخصلة شعر بتتقطع من راسها في أيد الجاني؟! عالأقل كانت هتحاول تخفيها.

- عايز توصل لأيه بكلامك؟!.. مختلة عقليا؟!

- لازم ندور في كل الاحتمالات يا أيمن.. المهم لازم أمشي رايح مشوار مهم هحكيلك عليه بعدين، أول ما تيجي أخبار من المعمل الجنائي تكلمني فورا.

انصرف أيمن وهو غير مقتنع بكلام صديقه، ولكنه على الأقل الآن لديه فرصة لالتقاط أنفاسه ولو للحظات، إلا لو كان للجاني رأي آخر.

***

شعور بالسخط، وآلاف اللعنات المكتومة.. تزفر بين الحين والآخر علها تتخلص من ذلك اللهيب الذي لم يترك جسدها ولو للحظة واحدة منذ ليلة البارحة، وبرغم أنه لم يكن هنالك أي شيء غير مألوف.. فهي نفس الهزات المهمة بل وأيضًا نفس الدقائق القليلة.. ثم الانتهاء دون الالتفات أن هنالك طرفا آخر لديه رغبات ومشاعر، نفس الأنانية المُعتادة والتي واجهتها بالصبر كثيرًا وبعد أن نفد ذلك الصبر لم تجد بديلًا عن ممارسة عادة المراهقات للتخلص من آثار الشهوة المفترسة.. حتى وصل بها الحال إلى كُره ليالي الجماع رغم ندرتها، ولكن الأمس وبرغم أن كل شيء كان روتينيا مملا منذ البدء بمسك يدها والتفوه ببعض الكلمات الرومانسية الخالية من أي إحلالٍ أو تجديد.. بل الخالية من المشاعر أيضًا وحتى نقطة النهاية.. برغم ذلك الروتين المُعتاد.. شيء ما بداخلها خرج عن السيطرة.. وكأن وحش الشهوة الكامن بداخلها أعلن ثورته، بركان انفجرت حممه من بعد خمودٍ ساد طويلاً، حتى أنها مارست تلك العادة ما يفوق الثلاث مرات منذ

انصراف زوجها إلى عمله، ولكن دون جدوى.. لم تنطفئ تلك النيران بل زادت بكل مرة عن سابقتها.

تقف هدى بصيدليتها تحاول أن تتملك زمام نفسها قدر الإمكان.. حتى ولج ذلك الشاب الذي نصبه خيالها كبطل ليلة الأمس "كريم"، ألقى التحية عليها لتجيبه بصوتٍ واهن متهدج.. تحاول قدر الإمكان إبعاد عينيها عنه، ولكن كعادة النفس الفضاحة تأمرها باليمين فتجيبك بأقصى اليسار، وكأنها فقدت تحكمها بنفسها.. لا تعلم كيف ركزت عيناها بعضلاته المفتولة والتي برزت بعد خلعه لمعطفه.. بل أن حاسة الشم قد عقدت اتفاقًا مع بصرها فوجدت أنفها تستنشق عطره الذي لم تلاحظه ولو لمرة فيما قبل.. وكأنهم اتفقوا جميعًا على محاربة رباطة جأشها، فازدادت سخونة جسدها حتى بدا ذلك جليًا على وجنتيها الخمريتين اللتين تحولا إلى الاحمرار وما زاد الأمر سوءًا تلك الرجفة التي انتابت أطرافها تزامنًا مع حبات العرق التي بدأت بالظهور على جبينها في تحد صريح لبدايات الشتاء.

- مالك يا هدى؟

أجابت وهي تشيح بناظريها عنه قدر الإمكان:-

- مفيش.. قلة نوم بس

قام من على مقعده مقتربًا منها وهو يتابع نظراتها التي تستحلفه بعدم الاقتراب حتى صار على بُعد ذراعٍ منها، قبل أن يعقد حاجبيه متسائلاً:-

- طيب هو أيمن مزعلك؟

وكأنها وجدت بحديثه الحُجة التي لهث عقلها للبحث عنها، فوافقته الرأي فورًا بهزات سريعة من رأسها، ليستكمل حديثه:-

- معلش يا دودو.. تلاقيه مضغوط بس في الشغل ولا حاجة.. اعذريه.

- عذراه والله.. المهم أيه أخبارك؟

- مانمتش طول الليل.

- اللي واخد عقلك؟

جلس على المقعد المواجه لها قبل أن يجيب قائلاً:

- عمال بحضر لكورس الجيتار اللي هنبدأه مع بعض.. أيه رأيك نبدأ امتى؟

- اممم مش عارفة بس اديني فرصة أفاتح أيمن.

أومأ رأسه ببطء وانصرف بالحديث إلى شتى المواضيع، تحت أنظار عينيها التي تابعته بمنظور الشهوة.

***

طرقات على مكتبها كانت تعلم صاحبها، فبدأت بإدخال بضعة من الخصلات الهاربة من شعرها وأعادتهم إلى حجابها المعقود على الطريقة الإسبانية قبل أن تسمح للطارق بالدخول.

"صباح الخير يا دكتور.. وأسف عالتأخير.. بس كان لازم أروح المديرية"

هكذا تحدث العقيد هشام وهو يجلس أمامها لتنظر له الطبيبة مبتسمة تلك الابتسامة التي تغني عن ترديد كلمة "ولا يهمك"، قبل أن يدخل أحد العاملين بعد طرقات خفيفة حاملًا صينية تحتوي على فنجالين من القهوة ليبدأ العقيد بالحديث:-

- الوضع بيزداد سوء يا دكتور.. أنا فعلًا محتاج مساعدتك.

مطت الطبيبة شفتيها الصغيرتين تعبيرا على قلة حيلتها قبل أن تؤكد ذلك قولاً:

- في الحقيقة يافندم.. الموضوع مش بالسهولة دي، أنا طبيبة نفسية مش محققة.. يعني أعتقد الموضوع محتاج وقت.

ابتسم الطبيب لثوان قبل أن ينظر إلى التلفاز الموجود بغرفتها.. ليتجول بعينيه حتى وصل إلى "الريموت" على أحد الأرفف بمكتبها الصغير، فهب واقفًا حتى وصل إلى مبتغاه وضغط أزراره ليفتح التلفاز باحثًا عن إحدى القنوات الإخبارية.. حتى وصل إلى ضالته.. فجلس وهو ينظر إلى مشاهد الاشتباكات على التلفاز بين قوات الأمن والشباب قبل أن يتحدث وسط استغراب الطبيبة وذهولها:-

- عارفة كام واحد هناك ممكن يموت من غير أي ذنب.. ومن الطرفين؟

- أيوه فعلًا.. المهم خلينا في موضوعنا.

- هو ده موضوعنا.

- مش فاهمة؟! أيه علاقة الاشتباكات اللي حاصلة بالسفاحة اللي حضرتك بتقول عليها؟!

- الاشتباكات دي سببها أيه يا دكتور؟!

- تقريبا بسبب المحامي اللي اتقتل امبارح.. اسمه حمدي تقريبا.

أومأ العقيد برأسه بالإيجاب.. قبل أن يهب واقفًا للمرة الثانية ويتجول بأنحاء غرفتها قبل أن يقف مواجهًا لها قائلاً:-

- حمدي أبو الحمد هو الضحية رقم 3 من ضحايا السفاحة.

رفعت الطبيبة حاجبيها ذهولًا قبل أن تعيد النظر إلى شاشة التلفاز مدركة ما يقصده العقيد.. لتعيد النظر إليه مرة أخرى قائلة:-

- حضرتك كده بتأكد على صعوبة الموقف.

عاد العقيد للجلوس على مقعده قبل أن يتحدث بنبرة هادئة قائلة:

- أنا مش طالب منك غير المحاولة، مجرد المحاولة يا دكتور.

أومأت الطبيبة الثلاثينية برأسها ببطء وارتدت نظارتها الطبية وهبت من مجلسها متجهة إلى حقيبة يدها لتحضر ذلك الملف الذي أعدته ليلًا وتخرج إحدى صفحاته وهي تتحدث:-

-في الحقيقة أنا كنت عاملة رسالة عن السلوك الإجرامي للمرأة.. واستندت في بحثي على حالة أعتقد ممكن تهمك..

بادرت بإخراج صورة لفتاة غربية الملامح من الملف معطية إياها إلى العقيد قبل أن تستكمل الحديث:-

"دي ماري لويز، من أشهر وأخطر السفاحات على مر العصور.. ماري لويز نشأت في أسرة متدينة جدًا.. بدأت حكايتها بتعرضها للتحرش المستمر من أحد أعمامها.. وده اللي خلق جواها كراهية شديدة ضد الرجال، بمرور الأيام اتعرفت على شاب نجح في فك العقدة واتجوزته.. لحد ما اكتشفت خيانته ليها.. وبكل برودة أعصاب تخلصت منه برصاصتين في القلب، وما اكتفتش بكده.. انطلقت بسيارتها وكل ما تقابل راجل كانت بتقتله.. حتى الأطفال مرحمتهمش قتلت ما يفوق ال10 أطفال وقبل ما تقتل أي واحد فيهم كانت بتقوله جملة ثابتة.. "ستكبرون وتتحولون إلى رجال، وتخدعون الكثير من الفتيات، لذلك سأنقذ جميع النساء من الألم الذي أشعر به الآن".

قطع صوت رنين هاتفه الحديث بينهما ليمسك بهاتفه ويجيب على الاتصال الوارد إليه من معاونه المقدم الذي تحدث قائلاً:-

- تقرير المعمل الجنائي ظهر، اللواء عاصي عايزك في مكتبه حالاً.

استأذن العقيد بالانصراف مع التأكيد على تحديد موعد آخر، وانطلق بسيارته باتجاه مديرية أمن الجيزة.

***

نصف ساعة فصلت العقيد هشام عن الوصول إلى مكتب اللواء، وما أن ولج الأول إلى غرفة المكتب حتى انتفض الأخير من مجلسه مصاحبًا كل من هشام وأيمن إلى طاولة الاجتماعات ليجلس ثلاثتهم ويبدأ "عاصي" الحديث:-

- يا ريت يا أيمن نبدأ بسرد معلومات تقرير المعمل الجنائي مرة تانية.

بدأ أيمن الحديث بلهجة الجندي المنفذ لأوامر قيادته قائلاً:

- التقرير أثبت صحة توقعنا بأن الجاني في الجرايم الثلاثة واحد.. أو بمعنى أصح الجانية.. وده اللي ظهر من نتيجة تحليل الحمض النووي لخصلة الشعر المتواجدة في أيد المجني عليه الثالث "حمدي أبو الحمد" واللي كانت نتيجتها مطابقة لبقايا الجلد الموجودة في أظافر الضحية الثانية "عامر الشناوي"، كمان البصمات اللي تم رفعها من على سيارة حمدي.. كانت هي نفس البصمات اللي كانت موجودة على أسورة لقيناها في مسرح الحادث الأول في مقتل "سليم"..

نظر اللواء عاصي إلى أيمن بغضب قبل أن يصيح قائلاً:

- يادي أم سليم وعامر، خلينا في قضية حمدي.. كل اللي أنت قولته ده مفهوش جديد.

انتفض المقدم من أثر حديث اللواء قبل أن يبتلع الأول ريقه بصعوبة ويستكمل حديثه:

- لا فيه يا فندم.. تحليل خصلة الشعر قدر يحدد عمر المشتبه بها بشكل مقرب، بيتراوح عمرها بين العقد الرابع ونصف العقد الخامس تقريباً.

ابتسم اللواء بسخرية قائلاً:

- يعني إحنا كده بندور على ست عمرها بيتراوح بين الثلاثين والخامسة والأربعين من العمر تقريباً؟.. إبرة في كوم قش.. أنتوا عارفين في كام ست في مصر في متوسط العمر د؟

هنا تدخل العقيد هشام مقاطعًا هشام حديث اللواء مع المقدم مجيبًا على تساؤلات الأول قائلاً:

- بعد إذنك يا فندم.. الجانية مش زي أي ست.. استنادًا للعمر التقريبي وطريقة القتل الثابتة في الثلاث جرائم.. فاللي بندور عليها.. أنثى قوية جسمانيًا بحيث أنها تقدر تحكم سيطرتها على 3 رجال بمواصفات الضحايا الجسمانية.. وتخنقهم بالسهولة دي.. بل وتكسر رقبة أبو الحمد.

تضامن المقدم مع ملاحظة هشام قائلاً:

- اعتقد أن الملاحظة دي هتسهل من عملية البحث.. الستات المصرية عمومًا بعد الثلاثين بتبقى صحتهم وقوتهم الجسمانية مش ولابد.. كمان موضوع كسر رقبة الضحية الثالثة بيدل على اعتياد الجانية على الموضوع ده، يعني إحنا ممكن ندور في سجلات ممارسين الرياضات القتالية.

أومأ اللواء رأسه إعجابًا بالتناغم الفكري بين العقيد ومعاونه.. قبل أن يعود الأول للحديث:-

- برده دي مش هتكون حاجة سهلة.. شخصية زي دي أكيد عندها من الحرص والحيطة في التنقل محتاجين نقلب مصر كلها عشان نلاقيها.. دي لو لسه في مصر أصلًا بعد ما الدنيا اتقلبت في قضية حمدي.

نظر هشام إلى أيمن وكأنه يذكره بحديثهما عن مدى إدراك الجانية قبل أن يبدأ العقيد بالحديث:-

- بعد إذنك يا فندم أنا عندي رأي مخالف لرأي حضرتك في النقطة دي.. أنا شايف أن مفيش دافع عند الجانية لقتل الـ3 ضحايا.. وزي ما حضرتك علمتنا إحنا بنحط افتراض لكل حاجة.. فأنا حاطط تصور أن الجانية غير مدركة لخطواتها وبتعمل جرايمها بصورة عشوائية.

عاصي:- حتى لو كلامك صح يا هشام.. ده هيصعب أكتر من محاولة حصر مكان البحث.

استكمل هشام حديثه قائلاً:

- بنظرة سريعة لأماكن الجرايم.. هنلاقي أن الجريمة الأولى حدثت في الشيشيني.. والجريمة الثانية بالرماية.. والثالثة بالهرم.. يعني في محيط محدد والثلاث جرايم كانوا في أماكن خالية وشوارع جانبية..

هزات من رأس اللواء عبر بها عن موافقته على حديث هشام قبل أن يتحدث الأول قائلاً:

- تمام أنا هأمر بتشكيل فريق بحث موازي ليكم.. للبحث عن المواصفات الجسمانية والسنية للمشتبه بها في الحيز الجغرافي ده.. أنا

السيد مدير الأمن لسه قافل معايا من حبة وأمر بتشكيل فريق للتحري من المباحث.

نظر المقدم والعقيد إلى بعضهما البعض انتظارًا لاستكمال اللواء الخبر.. والذي لم يتأخر كثيراً، فاستطرد "عاصي" حديثه:-

- إحنا هنشكل فريق ليه كل الصلاحيات للوصول للجاني، أنا اخترتك أنت يا هشام لقيادة الفريق ده.. ليك كل الصلاحيات بما فيها اختيار أعضاء الفريق.

أدى هشام التحية العسكرية قبل أن يقول:

- تحت أمرك يا فندم.. أنا محتاج معايا المقدم أيمن.. وهحتاج أضم طبيب نفسي للفريق.

عاصي:- تمام وأنا هجبلك قايمة بأكبر المتخصصين في مجال الجريمة من الأطباء النفسيين وأختار اللي أنت عايزه.

همهمات من العقيد كانت هي الرد على كلام اللواء قبل أن يمتلك من الجرأة ما يمكنه من الحديث قائلاً:

- في الحقيقة يا فندم.. أنا بعد إذن معاليك مختار دكتورة شابة اسمها عُلا الجوهري.

ساد الصمت المطلي بالذهول لبضع ثوان.. قبل أن يقطع أيمن ذلك الصمت:-

- دكتورة شابة؟!.. بعد إذنك يا هشام باشا.. دي قضية كبيرة وبتهيألي محتاجة طبيب عنده خبرة في مجال الجرايم.

أومأ اللواء عاصي رأسه تضامنًا مع رأي المقدم، إلا أن هشام لم يستسلم لمحاولتهما فتحدث بنبرة واثقة:-

- إحنا محتاجين كل دقيقة للسيطرة على الوضع والوصول لنتايج أسرع، دكتورة عُلا جايز معندهاش خبرة.. لكنها متخصصة في السلوك العدواني عند المرأة الشرقية.. أنا كنت عندها قبل ما أجي هنا.. وبالفعل هي عندها فكرة عن القضية فاعتقد هي الأنسب.

عاصي:- خلاص يا هشام.. هطلعلها أمر تكليف حالًا.. بس خد بالك الوزارة هتابعنا خطوة بخطوة.. كمان محتاجين متحدث إعلامي باسم الفريق ده.. وأعتقد مفيش أنسب من رئيس الفريق للتحدث للإعلام.. بما لا يضر ولا يقلل من شأن الوزارة.. بنا يوفقكم.

وقف الضابطان مؤديين التحية العسكرية واستعدا للانصراف، قبل أن يستوقفهما اللواء بحديثه في محاولة لتشجيعهما وتحميسهما:-

"شدوا حيلكم يا رجالة وخدوا بالكم.. الوزارة كلها في خطر بسبب مقتل حمدي.. محتاجين نتحرك بخطوات واضحة وصريحة ونكشف الحقيقة في أقرب وقت"..

***

إرهاق مصحوب بالغبطة سيطر على أطراف جسدها.. بعد أن قضت الساعات الماضية في محاولة الوصول لما يساعد ذلك العقيد في إثبات افتراضه والوصول إلى الجانية، أراحت جسدها على أريكتها المفضلة وشردت متذكرة نظرات العقيد المليئة بالإعجاب تجاهها، ابتسمت لا إراديًا تلك الابتسامة التي تفيض بما تحتويه الأعين وتعجز الشفاه عن ذكره، نعم فقط مرتين التقت به.. ولكن منذ الوهلة الأولى ومنذ أن تشابكت أصابعهما بالمصافحة الأولى.. شيء ما جذبها إليه.. فبالإضافة إلى هيئته الرياضية والوقار الذي تفيض به عيناه.. فهو من الرجال التي تبحث عنها عينيها دائمًا بالأفلام الكلاسيكية، شاربه

الكثيف ونظراته الثاقبة.. هدوئه ونبرته التي تفيض ذكورة.. وكأنه قد تم إعداده خصيصًا ليلائم ذوقها الخاص.

أمسكت بالريموت وبدأت بتشغيل التلفاز ولكنها وعلى عكس العادة لم تكن الأفلام الكلاسيكية مصدر جذب لذهنها.. فقد تنقلت بالقنوات حتى وصلت إلى إحدى القنوات الإخبارية لتجد قضية أبو الحمد تتصدر المشهد الإعلامي، تركت الريموت وهي تتابع الاشتباكات الحادثة منذ صباح اليوم باهتمام كبير.. فقد شعرت وأنها جزء لا يتجزأ من ذلك الحدث، انتهت تلك المقاطع ليظهر على الشاشة ذلك المذيع الإعلامي اللامع والحزن يكسو ملامحه مرتديًا رابطة العنق السوداء.. لينظر إلى الكاميرات محاولًا منع الدموع من الانهمار قبل أن يتحدث:-

"وكأن ثورة لم تقم.. وكأن نظامًا لم يسقط.. قتلوا صوت الحق.. لحد إمتى هنسكت؟؟.. لا وزيادة في الاستفزاز.. بيان وزارة الداخلية ساب القضية كلها.. وبيقولك أبو الحمد عنده كباريه؟؟!.. شيء مستفز جدًا.. جدًا يعني.. يا سيدي أبو الحمد كان عنده كباريه ده فادنا في أيه بقى؟؟!.. فين القاتل يا حكومة؟!"

استمعت الطبيبة لتلك المقدمة النارية من الإعلامي المرموق وهي تتذكر كلام العقيد صباح اليوم.. شعرت بأن تلك القضية التي تم تخويلها للتحقيق فيها نفسيًا.. أكثر من مجرد محاولة لإثبات جدارتها، ولكن رغم ذلك لم يعرف الخوف طريقًا لذهنها.. بل شعرت بالسعادة واعترى الحماس جوانب نفسها.

"ومعانا اتصال هاتفي من العقيد هشام عبد ربه رئيس فريق البحث في قضية حمدي أبو الحمد.. والمتحدث الإعلامي باسم الفريق.. مساء الخير يا سيادة العقيد.. هل هناك جديد؟!"

قطعت تلك العبارة التي تفوه بها الإعلامي تفكير الطبيبة لتعير انتباهها مرة أخرى إلى التلفاز.. منتظرة ما سيدلي به العقيد الذي بدأ حديثه برد تحية الإعلامي، قبل أن يبدأ الأخير أسئلته الهجومية:-

- الحقيقة فين يا سيادة العقيد.. من حق الشعب المصري أنه يعرف مين قتل أبو الحمد؟

- شوف يا أفندم.. إحنا بعد ثورة ولا مجال لإخفاء الحقائق أو مواراتها.. لذلك من حق الشعب المصري أنه يعرف حقيقة الأمر.. مقتل أبو الحمد مش جريمة سياسية ولا مخابراتية.. ولا مؤامرة.

قاطع المذيع حديث هشام متهكما:

- حضرتك عندك دليل على ده.. مش عايزين شعارات يا سيادة العقيد.. مع احترامي يعني إحنا عايزين أدلة.

- تمام.. مقتل أبو الحمد مش قضية فردية.. ده جزء من سلسلة جرايم حصلت خلال نفس الشهر.. جريمة أبو الحمد هي الجريمة رقم 3 في السلسة والـ3 جرايم تموا بنفس الطريقة ومن خلال نفس الشخص رغم عدم وجود أي علاقة بين الثلاثة رجال الضحايا.

اعترى الذهول وجه الإعلامي.. لينظر يمينًا ويسارًا قبل أن يتساءل:-

- يعني حضرتك كده بتقول إننا عندنا قاتل متسلسل في مصر.. سفاح يعني؟!

تابع العقيد حديثه مزيدًا من صدمة الإعلامي:

- عشان يكون التعبير أدق.. قاتلة متسلسة يا فندم.. الجانية امرأة..

جحظت عينا الإعلامي ذهولًا بعد سماعه لذلك الخبر، حتى أن الكلمات قد تبعثرت من على شفتيه قبل أن يتماسك ويبدأ بالحديث ساخرًا من ذلك النبأ:-

- المفروض أننا نطمن كده؟!.. طيب يا جماعة عندنا سفاحة رجال في مصر.. يعني حضرتك وأنت ماشي مع المدام ما تشخطش فيها لحسن السفاحة تجيب رقبتك.. ولو أنت قاعد عالقهوة والمدام اتصلت وقالتلك عايزة تمن رومي.. ما تتعصبش وقولها حاضر يا بيبي.. سفاحة رجال في مصر.. نراكم بعد الفاصل"..

هبت الطبيبة من على أريكتها، فبرغم الشكل الهزلي الذي صاغ به الإعلامي خبر السفاحة.. إلا أنه نجح في إشعال إحدى الافتراضات بعقلها.. فأخذت تتجول ذهابًا وإيابًا بغرفتها.. وتتساءل:-

تُرى.. ما الفعلة التي استحق عليها الضحايا الثلاث العقاب؟

أعطاها ذلك التساؤل المزيد من الطاقة فعادت للجلوس على مكتبها الخشبي بغرفتها ليمضي الوقت بين بحثٍ وتدوين.. حتى انتهت إلى فكرة وجدتها ملائمة لتلك الحوادث، أمسكت بهاتفها وفكرت بالاتصال بالعقيد.. ولكنها تراجعت باللحظة الأخيرة واكتفت برسالة نصية تخبره فيها بضرورة ملاقاته في الغد.

***

بالثامنة مساءً، كان المقدم أيمن قد وصل أمام باب منزله، وكالعادة كان الإجهاد عنوانًا لملامحه.. أدار مفتاحه بثقب الباب وولج إلى منزله، وبمجرد دخوله.. استنشق عطرًا أنثويًا فياحًا.. جعله يتعمد استنشاقه لمرات متتالية.. قبل أن يكمل طريقه إلى غرفة النوم، ليجد زوجته ممدة على الفراش وبأعينها نظرات الشوق التي لا ينكرها إلا أعمى، وبرغم برودة الجو إلا أنها ارتدت قميصه المفضل أحمر اللون

الذي يصل بالكاد إلى خصرها كاشفًا عن ساقين خمريتين يشتهيهما فاقد الذكورة ويخر أمامها أعتى الرجال، وقف أيمن مذهولًا مارًا بعينيه متفحصًا هيئة زوجته التي بدت كعروسٍ استعدت لزفافها.

ألقى السلام الذي ردته بصوتٍ واهن، وجلس على طرف الفراش هامًا بتبديل ثيابه، إلا أن زوجته قد استندت على ركبتيها لتقف خلفه مساعدة إياه في تبديل ثيابه ماسحة بيديها خصلات شعره تارة ووجنتيه المكتظتين تارة، أنهى تبديل ثيابه متجاهلًا لمساتها المفهومة، ليرتمي بجسده الضخم على فراشه مديرًا ظهره إليها قائلًا بصوتٍ غليظ كقلبه:

- تصبحي على خير.

ظهرت ملامح الامتعاض على وجهها، إلا أن شهوتها المنطلقة كانت هي المتحكمة في الموقف فمالت بجسدها عليه متعمدة احتكاك نهديها به قبل أن تقول:

- لا حبيبي مش هينام.. وهيقعد معايا شوية

أنهت جملتها وطبعت قبلة على وجنته طمعًا فيما يطفئ نيرانها، ولكنه زفر ضيقًا قبل أن يهب من مضجعه ليجلس نصف الجلسة صائحًا بها:

- بقولك أيه.. أنا راجع مهدود ومش فايق للدلع الماسخ ده، سيبيني أنام.

عاد إلى وضعية نومه تاركًا تلك المرأة التي تحولت محاولتها إلى دموعٍ منهمرة على ذلك الوضع المهين، كتمت أصوات نحيبها لتخلف تلك الفعلة بفؤادها ما يشبه السكين، هبت من على الفراش تاركة غرفة النوم وبعقلها اللعنات، بالأمس أراد جسدها فما كان لها حق

الاعتراض، واليوم أرادت هي القليل من حقوقها فما جنت سوى ذلك الرفض الفج الخالي حتى من آداب التملص.

***

"أنت مين أداك الإذن عشان تتكلم عن أسرار القضية بالشكل ده؟!"

هكذا انفجر اللواء عاصي بمجرد ولوج العقيد هشام إلى مكتبه تعقيبًا على تلك التصريحات التي أدلى بها الأخير بإحدى البرامج مساء الأمس، فتحدث هشام محاولًا تبرير موقفه:-

- يا فندم حضرتك عينتني متحدث إعلامي باسم فريق البحث، وأنا كنت قاصد التصريح ده لعدة أسباب.

- كمان قاصده؟!.. قاصد أيه يا سيادة العقيد.. تقول للجانية خدي بالك والحقي اهربي؟!

- لا يافندم بالعكس.. حضرتك عارف أني حاطط افتراض اختلال عقل الجانية، والتصريح ده هيثبت صحة الافتراض من عدمه.. يعني لو الجانية شخصية عاقلة أكيد هتدارى عن الأنظار اليومين دول وبالتالي هيبقى سهل من خلال الفريق التاني تحديد هوية الجانية بمجرد الاشتباه.

- افتراض ايه بس يا هشام اللي يخليك تفصح عن معلومات مهمة بالشكل ده، فكرك الرأي العام هيسكت.. خد عندك تريقة بقى لحد الصبح عالفيسبوك، ده غير المظاهرات وحملات التشكيك.

- يا فندم حتى الرأي العام هيتشغل بغرابة القضية ويتجاوز مقتل أبو الحمد وبكده يبقى ضربنا عصفورين بحجر.

- طب وافرض بقى يا أفندي.. الجرايم استمرت.

- يبقى كده افتراضي في محله أن الجانية مختلة عقليًا يا فندم.

- أنا مش متفق معاك، وواثق أن السيد مدير الأمن مش هيسكت عالعبث ده.. أنا اه بعزك وعارف أنك ظابط مجتهد.. لكن مش هقدر اقف جنبك في موقف زي ده.

هم هشام بالتحدث تعليقًا على كلمات اللواء إلا أن صوت هاتف مكتب الأخير حال دون ذلك، فأمسك اللواء "عاصي" بهاتفه وما زال يرمق العقيد بنظرات الغضب، قبل أن تظهر علامات الانزعاج على وجهه "عاصي"، وهو يحاول ابتلاع ريقه قائلًا لمحدثه على الهاتف:-

"السيد وزير الداخلية شخصيًا عايزني عالتليفون؟!.. مقالكش فيه أيه؟!.. طيب حولني عليه بسرعة"..

أخفض اللواء سماعة الهاتف وهو ينظر إلى العقيد متحدثًا بنبرة لائمة:-

"شوفت أخر افتراضاتك.. السيد وزير الداخلية شخصيًا عالتليفون، أكيد هيقلب الدنيا"

تابع هشام الموقف وهو يعض على شفته ضيقا، حتى بدأ اللواء عاصي بالحديث بعدما هب واقفًا بمجرد سماعه لصوت وزير الداخلية:-

"صباح النور يا فندم.. برنامج امبارح؟!.. اه شوفته طبعًا وسمعت التصريح.. أيه؟!.. حضرتك معجب بالتصريح؟!.. مين اللي كان بيتكلم في البرنامج.. ده ظابط مباحث اسمه هشام عبد ربه.. اه طبعًا أنا اللي موصيه يقول التصريح ده يا فندم.. تلامذتك يا سيادة الوزير.. عُلم وينفذ يا فندم.. مع السلامة"..

نظر هشام إلى اللواء بأعين ضاحكة، بينما توارت أنظار اللواء وهو يتحدث بصوت مُحرَج:-

- أنا بس خايف على مصلحتك مش اكتر.

عاد رنين هاتف مكتبه للانطلاق مخرجًا اللواء من ذلك الموقف فأسرع ليجيب عليه.. ليصمت قليلًا وترتسم على وجهه ملامح الارتياح قائلاً:-

- تمام.. أنا هبعتلهم هشام بالفريق بتاعه، وأول ما تكونوا جاهزين عرفوني.

أغلق اللواء الهاتف قبل أن يوجه أوامره إلى هشام قائلاً:

- البرنامج الأمريكي بتاع تطابق الحمض النووي وصل.. وحاليًا بيحملوا عليه البيانات وخلال أيام هيكون جاهز، عايزك تروح للإدارة العامة للتكنولوجيا والمعلومات وتفهم منهم كل حاجة وتبلغني.

***

- بس ياسيدي، فضل اللواء عاصي يزعق ويقولي وزير الداخلية مش هيسكت ومش هقدر أحميك، وهوب تليفون مكتبه رن.. طلع وزير الداخلية شخصيًا.. قعد يقوله شعر في تصريح امبارح.. واتفرج على وش سيادة اللواء بقى.. جاب ألوان الطيف كلها.

أنهى العقيد سرد ما دار بينه وبين اللواء عاصي صباح اليوم لصديقه أيمن، لتنطلق ضحكاتهما داخل سيارة الأول وهما بالطريق إلى وزارة الداخلية وبالتحديد إلى إدارة التكنولوجيا والمعلومات، قبل أن يشرد كل منهم في حاله، استغل هشام ذلك الصمت وأمسك بهاتفه مرسلًا رسالة نصية إلى الطبيبة، يعتذر فيها عن عدم الحضور إليها في المشفى ومقترحًا اللقاء في الخارج عقب أوقات العمل الرسمية، وما هي

إلا دقائق حتى جاءته الموافقة منها.. فابتسم إعجابًا بتلك الطبيبة الشابة والتي تمثل له نموذجًا للمرأة الناجحة التي طالما تمنى لقاءها، وصلا إلى حيث مقصدهما ودلفا إلى إدارة التكنولجيا ليقابلهما ظابط شاب بابتسامة بشوشة محييًا إياهم قائلاً:

- الرائد سيف أشرف من قطاع التكنولوجيا، والمسئول عن البرنامج.

بعد التحيات وتقديم الأنفس دخل ثلاثتهم إلى غرفة صغيرة بها شاشة للعرض ووقف الرائد لشرح ماهية البرنامج:

- باختصار البرنامج ده أشبه بصحيفة جنائية فيها كل المحكوم عليه، كل ما في الأمر أننا بندخل الحمض النووي أو البصمة المجهولة، والبرنامج بيقوم بالبحث عن صاحب البصمة أو الحمض من ضمن أرباب السوابق.

قاطعه أيمن قائلاً:

- ولو افترضنا أن الجاني مالوش سوابق؟

هز الرائد رأسه في أسى قبل أن يستكمل قائلاً:

- للأسف إحنا لسه بدري عشان يكون عندنا قاعدة بيانات لبصمات الشعب كله، لكن ممكن نعمل مقارنة مع أرباب السوابق، أو مع الأدلة الغير متعارف عليها في الجرائم الجاري التحقيق فيها أو المقيدة ضد مجهول.

تدخل هشام بالحوار متسائلاً:

- قدامنا قد ايه يا سيادة الرائد ونكون جاهزين.

- يومين تلاتة بالكتير يا فندم

وقف مرتديًا حلته الرمادية ورباط العنق أسود اللون مرحبًا بتلك الفاتنة التي بدت بكامل زينتها واستعدادها لذلك اللقاء، مد هشام يده مصافحًا أنامل "علا" الرقيقة، قبل أن يسحب مقعدًا ليسمح لها بالجلوس في حركة تعشق رؤيتها بالأفلام القديمة وطالما تمنت الحدوث معها، جلس بالمقعد المواجه لها وعينيه تشاطرها نظرات الإعجاب والسعادة، دقائق مضت أعرب خلالها الطرفان عن سعادتهما بالظروف التي جمعتهما للعمل معًا مواريين إعجابهما بجمل رسمية فضحتها النظرات، قبل أن تبدأ عُلا الحديث الجدي بأعين لامعة قائلة:

- نتكلم في الشغل بقى.

وافقها العقيد الرأي لتعاود هي الحديث قائلة:

- أولًا جاية أحييك على الإستراتيجية اللي أنت اتبعتها في تصريحك.

- استراتيجية أيه؟!

- يا سيادة العقيد.. أنا طبيبة نفسية، حضرتك قصدت تعمل اختبار لقدرات الجانية الذهنية من خلال تصريحك ده.

ابتسم العقيد إعجابًا بتحليل الطبيبة السليم لتصريحه الإعلامي وهمَ بارتشاف قطرات من القهوة التي وضعت لتوها أمامه قبل أن تستكمل الطبيبة حديثها قائلة:-

- ثانيًا.. فيه نظرية نفسية في علم الجريمة اسمها.. الجريمة والعقاب.

تابع العقيد حديثها باهتمام بالغ، فبدأت ترتشف بضع قطرات من القهوة قبل أن تستكمل حديثها:-

"باختصار شديد النظرية دي بتقول أن الجريمة زي ما لازم يكون ليها عقاب، فإن معظم الجرائم بالأصل كانت عقابًا على جريمة اقترفها الضحية بحق الجاني، يعني بالنظر لمعظم جرائم القتل هنلاقي أن القتل الغير مسبب بالسرقة.. هيكون رد فعل، يا إما مشاجرة على شيء أدت لقتل، أو زوجة خانت زوجها فقتلها.. إذن أحيانًا الجريمة نفسها بتكون عقاب للمجني عليه، ده في الجرائم العادية.. علماء الإحصاء لما طبقوا النظرية دي على الجرائم المتسلسلة.. فالنسبة قاربت الـ 95%.. يعني باختصار شديد.. لازم نسأل نفسنا سؤال، الجانية في القضية بتاعتنا.. كانت بتعاقب الضحايا على إيه؟"

انعقد حاجبا العقيد وكأنه يتذكر تفاصيل الجرائم الثلاثة قبل أن تنفرج أساريره ويهب من كرسيه صارخًا غير مباليًا بوجود الناس من حوله قائلاً:-

- أنتي صح.. الجرايم دي بالأساس عقاب.

ابتسمت الطبيبة سعادةً بنجاح افتراضها وتابعت العقيد المذهول ببراعتها قبل أن يلاحظ نظرات الموجودين في المكان ليجلس على مقعده ويستكمل حديثه بنبرة أقل ارتفاعًا قائلا:-

"الضحية الأولى سليم سالم.. أخر حاجة عملها قبل ما يتقتل كان بيوصل بنته الدرس.. ونشبت بينهما مشاجرة لسبب مجهول، وضربها بالقلم بوحشية شديدة.. والمارة خلصوها من أيده.. الضحية الثانية عامر الشناوي.. قبل موته بساعات وإحنا بنفرغ كاميرا المطعم بتاعه.. ظبطنا حالة تحرش بالبنت اللي كانت شغالة هناك.. حمدي أبو الحمد الضحية الثالثة.. قبل ما يموت كان معاه فتاة ريكلام"

اختفت ملامح السعادة من وجه العقيد قبل أن يتساءل:-

- بس برده فيه حاجة ناقصة،.. تواجدها بالأماكن دي تفسيره أيه؟

- ابتسمت الطبيبة بثقة شديدة أزادت من إعجاب العقيد بها قبل أن تبدأ بالحديث:-

"هجاوبك عالسؤال ده بافتراض حضرتك اللي خلاك تلجأ للطب النفسي.. حضرتك رافض احتمالية أن القاتلة تكون مترصدة بالثلاث ضحايا، وده معناه قبولك بافتراض التجول العشوائي.. بمعنى صدفة ما خلت الجانية تمر في المكان ده سواء بقى ساكنة هناك أو بتشتري أكل من مطعم عامر مثلًا.. أو لأي سبب تاني وحصل أمامها شيء أثار حفيظتها أو اعتبرته جريمة، فقررت معاقبة الجاني"

أومأ العقيد رأسه اتفاقًا مع كلام الطبيبة مداعبًا شاربه الكثيف وهو يتحدث:-

- بس أيه اللي يخلي ست تقتل راجل متعرفوش لأنه بيضرب بنته، أو لأنه بيتحرش بواحدة، أو لأنه معاه فتاة ريكلام؟!

تشابكت أصابع الطبيبة لتبدأ التفسير الطبي وسط تركيز من العقيد الذي سلط عينيه على أدق تفاصيلها فقالت:

- لو مشينا مع الافتراضات دي هيبقى في الغالب ما يسمى بتكرار المواقف وده شيء مرتبط باضطراب ما بعد الصدمة.

هم العقيد بإشعال سيجارة أثناء حديثها، فمدت يدها بكل رفق وثقة ساحبة تلك السيجارة من فمه لتضعها عالطاولة بهدوء وتكمل تفسيرها وسط اندهاش العقيد قائلة:

- التفسير الطبي الوحيد اللي قادرة أقتنع بيه، هو استدعاء عقل الجانية لمواقف من حياتها السابقة نتيجة موقف حاضر، فبتنتقم.. بالظبط زي ما ماري لويز ما كانت بتستحضر اللي حصلها مجرد ما بتشوف ذكر.

اتسعت حدقتا العقيد قبل أن يتفاعل معها بحماس قائلاً:

- أنتي تقصدي أنها لما شافت موقف سلمى مع والدها، عامر مع البنت وحمدي مع الريكلام.. قررت القتل انتقامًا من اللي حصلها؟

أومأت الطبيبة رأسها واتسعت ابتسامتها عن أخرها قبل أن تقول:-

- كلامك صح إلا حاجة واحدة بس.. أنها بتقرر القتل ده مش صح.

بدا الذهول جليًا على ملامح العقيد وهم بالاستفسار لكن الطبيبة لم تمهله الوقت لذلك بل استمرت بالحديث:-

- المرض النفسي شيء كلنا بنجتهد فيه، لكن ماحدش يقدر يوصل لحقيقته، أن النفس البشرية أشد ظلمة ورعبًا من عالم الماورائيات.

استمر صمت العقيد وإنصاته لحديث الطبيبة الذي انهمر كالشلال فأكملت:

- زي ما المرض النفسي بيخلي واحد يتغلب على أهم غريزة وهي غريزة البقاء ويقرر قتل نفسه دون إحساس بالخطر وأحيانًا دون وعي.. أحيانا كتير مريض بيقوم بجرائم قتل بذاكرة مختلفة غير ذاكرته، ده أحيانًا بيساعد في القتل على نفسه.

أنهت الطبيبة كلامها ومدت يدها لتمسك بكأس الماء لترتشف بعض القطرات، ليتساءل العقيد:

- دكتور.. أنت مش لابسة دبلة.. ده معناه أنك مش متجوزة؟

كادت المياه أن تنحرف عن مسارها الطبيعي بحلقها، فأبعدت الكأس عن فمها لتنتابها نوبة قصيرة من السعال، وضعت يدها على شفاهها وزاغت نظراتها يمينًا ويسارًا قبل أن تبدأ في التماسك قائلة:-

- ده هيفرق في مسار التحقيق؟

ظهر الإحراج جليًا على وجه العقيد واحمرت وجنتاه، بينما وبخت عُلا ذاتها على تلك الفعلة.. وهي التي انتظرت انحراف الحوار إلى الجانب الشخصي على أحر من الجمر، نعتت نفسها بالغباء وقررت إصلاح ما أفسدته قائلة:-

- أنا مُطلقة..

عادت الابتسامة لتغزو ملامح العقيد قبل أن تتساءل الطبيبة:-

- أنت برده مش لابس دبلة، مش متجوز؟

نظر لها العقيد نظرة حانية تزامنت مع ابتسامة أذهبت الطبيبة عقلها قبل أن يتحدث قائلاً:

- وده هيفرق في مسار القضية؟

عقدت حاجبيها غضبًا ونظرت إليه شزرًا قبل أن تنطلق ضحكاته الساخرة منها وفرحًا بانتقامه منها قائلاً:

- ماتزعليش أوي كده، أنا متجوز بقالي 15 سنة.. وفيه مشاكل بيني وبين مراتي بقالها 15 سنة برده.

اختفت ملامح السعادة من عينيها وتبدلت بنظرات الضيق واكتفت بإيماءة من رأسها وابتسامة ضيق، قبل أن تستأذن بالانصراف فورا.

***

الفصل الخامس.. جعلوني عاهرة

بعد مرور يومين

وكأن الحياة لم تشأ لها قليلًا من الرضا، وكأن الجميع تحالف ضدها.. بعد قناعة لم تدم طويلًا.. مرت الأيام السابقة على "أروى" مريرة تحاول فيها نسيان تلك الأيام التي قضتها بين الساقطات بغرفة الاحتجاز، ولكنها رضخت إلى مطالب الحياة ونداءات معدات أشقائها الصغار، فعادت إلى سابق عهدها والهبوط من منزلها منذ أول شعاع للشمس لتتجول بالأنحاء باحثة ولو عن فرصة عمل توفر لها ما هو أقل من المطلوب.. سارت مرتدية معطفها الوحيد والذي أنهكه الزمان كما أنهك صاحبته.. تخرج من محلٍ تجاري لتدخل بشركة قد أعلنت عن حاجتها لبنات للعمل.. ولكن وكالعادة واجهت ذلك الرفض السمج مصحوبًا بتعليقات سخيفة عن حاجتهم لبنات رشيقات.. لكنها لم تواجه رفضهم ببشاشتها السابقة.. ولكنها اكتفت بالصمت.. تابعت السير ومن بين الحين والآخر تنظر إلى السماء وكأنها تناجي والدها المتوفى.. تلومه عن تخليه عنها.. تتوالى المحاولات ويتوالى الرفض المصحوب بالنظرات الساخرة من جسدها النحيف.. ووجهها ذو البشرة السمراء التي لم يكن لها ذنب بها.. ولكن على العموم فهي لم يكن لها ذنب أيضًا في وفاة والدها.. ولا بمرض والدتها.. ولا في الحالة المادية المتدنية لأسرتها.. ولا في الظلم الذي تعرضت له وقضت بسببه أربعة ليالي بين الساقطات ولم يكن لها ذنب أيضًا بالبطالة التي استولت على مصائر الشباب والفتيات.. لتجعل من حاملة بكالوريوس تجارة مثلها تقبل بالعمل بمطعم للمأكولات.. وتتغاضى عن تحرشات صاحبه "المقتول"..

بدأ الإنهاك في التسلل إلى جسدها وكلما أوشك في القضاء على همتها.. تذكرت خلو المنزل من النقود والطعام.. لتستمر بحثًا عما يوفر ولو قوت هذا اليوم، ولكن بعد فترة قررت أن تأخذ قسطًا من الراحة

فوجدت ضالتها برصيف عالي مجاورًا لإحدى عمارات المهندسين.. فابتسمت بأسى بعدما اكتشفت سيرها من الطالبية حيث مسكنها حتى المهندسين.. شعرت بالعطش يكاد يذبح حلقها.. فنظرت يمينًا ويسارًا عسى أن تجد ما يروي ظمأها فلم تجد سوى محل بقالة بجوارها فذهبت إليه ملقية السلام:-

"لو سمحت يا عمنا.. معندكش ميه أشرب"

نظرة احتقار من صاحب المحل قبل أن يشير إليها إلى حافظة المياه المعدنية.. قائلاً

"الصغيرة ب1ونص ونص والكبيرة ب 2ونص"

أروى:- لا بلاها.. كأني صايمة.. طب ما تعرفش مكان طالبين فيه شغل

"علبة مالبورو يا خميس"

أتى ذلك الصوت من على يمينها لتلتفت إلى مصدره، لتجد ذلك الرجل الأنيق ذا الرائحة العطرة النفاذة التي تكفي ثمن زجاجة منها لإطعام عائلة أروى لشهر.. بدأ بتفحص تلك العشرينية متسخة الثياب والمظهر.. قبل أن يوجه حديثه لها وهو يفتح علبة السجائر بأسنانه:-

- سامعك بتسألي على شغل.. مش كده؟

- اه.. تعرف مكان طالبين فيه بنات للشغل؟

- أنت اسمك أيه ومؤهلك أيه؟

نظرت له بأعين مليئة بالريبة ولكنها أجابت قائلة:-

- أسمي أروى.. أنا معايا بكالوريوس تجارة 2010.. قسم إدارة.

- معقول؟!.. لا للأسف الشغلة اللي عندي مش هتناسب مؤهلك.

- حضرتك أنا اشتغلت كل حاجة.. في مطعم وفي سوبر ماركت.. عادي المهم اشتغل.

- برافو عليكي.. وبعدين الشغلة دي مرتبها كويس أوي.. 200 جنيه في اليوم.. بس لا ماعتقدش هتعجبك.

اتسعت عينا أروى بمجرد استماعها لذلك المبلغ المهول ولم تشعر بنفسها إلا وهي تمسك بذراع ذلك الرجل الثلاثيني الذي هم بالانصراف وهي تتحدث والفرحة تكسو حديثها:-

- موافقة.. 200 جنيه؟؟ صح؟؟ هاخدهم النهاردة يعني؟؟ شغل أيه؟

نظر إليها الرجل وابتسامة الثقة تعتريه نظرًا لنجاح خطته قبل أن يتحدث:-

- أنا عندي مكتب في الدور الرابع هنا.. أنا شغال مخرج تليفزيوني.. اسمي رامز حسني.. ومحتاج بنوتة زيك يعني تنضف المكتب كل يوم وتجبلي طلباتي.

اختفت البسمة من على شفتيها وهي تستمع إلى وظيفتها الجديدة "خادمة"، لكن هل هناك حل آخر؟!.. فكرت بذلك المرتب المجزي.. وكيف ستتمكن من تلبية حاجات المنزل ربما لأسبوع فقط بقبولها ذلك العمل ليوم.. إما إذا قبلت العمل لمدة أسبوع.. فستتمكن من تسديد مديونية البقال.. وكذلك شراء أدوية السكر لوالدتها.. ستتمكن من تسديد مصاريف النور والإيجار المتراكمة وربما تستطيع شراء تلك الدراجة التي يحلم بها أشقاؤها الصغار.. فكرت بهم جميعًا ولم تفكر بنفسها ولو للحظة.

"ها موافقة ولا لأ؟"

قطع تفكيرها ذلك السؤال الذي لم تتردد في الإجابة عنه:-

"موافقة"

اتسعت ابتسامة "رامز" لتظهر أسنانه الصفراء بفعل السجائر وما يشابهها وهو يستمع إلى إجابتها قبل أن يتحدث إليها بلغة أمرة:-

"طيب خشي استنيني عند الأسانسير وأنا جايلك حالا"

استجابت لأمره ودخلت إلى بوابة العمارة بينما تبادل هو و "خميس" رجل السوبر ماركت الضحكات قبل أن يتحدث خميس:-

"هنيًا مقدمًا يا رامز باشا.. بس أنا معرفش أن زوقك بقى وحش كده"

- اهو أنت حمار يا خميس.. اللي زي دي ليها متعة خاصة.. أنا هبقى أول راجل ألمسها.. كسرة عينها ليها طعم لوحده.. وبعدين يا أخي زهقت من المولتين والتشيزكيك.. وماله لما أجرب الكسكسي.

تبادلا الضحكات قبل أن يطفئ رامز سيجارته ويذهب لأروى المنتظرة له عند بوابة المصعد.. ويصلا إلى مكتبه.

رامز:- شوفي بقى يا أروى هو المكتب اه صغير بس محتاج شغل كتير.. عايزك بقى تشدي حيلك ولو عجبتيني ممكن كمان أزودلك المرتب.

لم ترد على تعليماته سوى بهزات من رأسها.. أما هو فقد ترك لها المكتب خاويًا بعدما أحضر لها بعض أدوات التنظيف المطلوبة.. فبدأت بالانتقال من ركنٍ إلى آخر ومن طاولة إلى شقيقتها وتحاول قدر الإمكان أن تتقن ما تفعله طمعًا في تلك الزيادة التي وعدها بها.

"شايفة المكتبة دي؟.. عايزك تحركيها لأن أكيد وراها محتاج تنضيف"

هكذا جاءها صوته فاتجهت إلى ذلك الركن محاولة إزاحة تلك المكتبة الصغيرة.. وأثناء ذلك شعرت بأنفاس محترقة تخترق أذنيها.. فأدارت وجهها بعينين يملأهما الرعب لتجد رامز عاريًا كما ولدته أمه.

جحظت عيناها وهي تشاهد ابتسامة الشهوة التي ذكرتها كثيرًا بعامر.. ولكن فعل رامز كان أسرع بكثير من تفكيرها، فجذبها إليه بقوته ضامًا إياها إلى صدره ذو العضلات القوية، حاولت التملص منه قدر الإمكان.. ولكن يديه الخبيرتين كانتا أسرع منها فأحكم إمساكها وبدأ بنزع ملابسها بسرعة رهيبة غير مبال بأصوات بكائها التي زادته شهوة وإصرارا.. وبعد أن نزع عنها ملابسها وأصبح كل تفكيرها في مدارة جسدها البكر الذي لم يُكشف على ذكرٍ من قبل.. حملها بين ذراعيه كطفلة متجهًا إلى غرفة بالمكتب وألقاها على سريره.. ليهجم عليها بشفتيه كذئبٍ مفترس يقتطع من شرفها النقي أجزاءً وأجزاء.. شعرت بين يديه أنها كالطفلة لا حول لها ولا قوة.. وبرغم مقاومتها التي لم تتوقف ولو للحظة، لكن ذلك الثور استطاع إحكام قبضته عليها ربما بفعل الخبرة، وبدأ يمر بشفتيه على منحنيات جسدها لاعقًا مرة وعاضًا أخرى.. لم تقدر على شيء سوى البكاء.. والنحيب.. لم تجرؤ على شيء سوى كلمات التذلل التي أزادته رغبة.. فبدا بشق جسدها دون رحمة.. وبعدما نجح في تجاوز حاجز العفة.. لتنتفض ألمًا قبل أن تشعر بتلك الدماء الطاهرة تسيل.. فتوقفت عن التذلل.. توقفت عن النحيب.. ولكن لم تتوقف عيناها عن الدموع.

نصف ساعة استغرقها في التهام جسدها الخمري.. ومجرد أن انتهى من اعتلائه لها.. حتى بادر بإشعال سيجارته وعلى وجهه ملامح

الرضا.. ففتح أحد أدراجه وأمسك بورقتين من فئة 200 جنيه.. وألقى بهما إلى جانبها قبل أن يتحدث بلغة لم تخلو من الذل والإهانة:-

"قومي ألبسي.. وروحي.. ولما تحتاجي فلوس ابقي تعالي"

هبطت من منزله شاردة الذهن.. بأعين باردة.. فقد فقدت لتوها آخر ما تبقى لها من أمل بحياة شبه كريمة.. فقدت لتوها أخر عزيز وغال.. خرجت من بوابة عمارته.. لتجد "خميس" صاحب البقالة ينظر لها بأعين مليئة بالسخرية قبل أن يتحدث بلسان اختلط بضحكات عالية:-

"كنتي عطشانة؟؟.. يارب يكون الباشا روى عطشك"

لم ترد عليه ولو بكلمة واحدة.. وكأن لسانها قد كُبل.. سارت لا تعلم إلى أين.. مقبضة بيدها على ورقتي النقود كمن يقبض على جمر.. تنظر إلى أعين الناس بنظرة المتهم الثابتة إدانته.. تشعر وكأن الجميع يراها عاهرة.. لن يرحموها مهما أقسمت.. ستصبح هي الجانية، لا تعلم كم من الوقت مضى ولا تعلم أين هي الآن.. ولكنها نظرت لتجد مياه النيل تناديها فأقبلت دون تردد وصعدت كورنيش النيل وألقت بجسدها.. ولكن حتى الموت لم يرأف بحالها، وظهرت الشهامة بأوقاتٍ لم تكن بحاجة لها وتسارعت الأيادي لإنقاذٍ كانت رافضة له.

***

مكالمة هاتفية تلقاها العقيد هشام، جعلته يصطحب صديقه المقدم ويهرولان إلى سيارة الأول منطلقين بأقصى سرعة، وذلك بعدما أخبرهما الرائد بالإدارة العامة للتكنولوجيا بجاهزية البرنامج للعمل، استغل هشام الطريق لإخبار عُلا - التي اعتاد على مهاتفتها طيلة اليومين السابقين- بأحدث الأخبار، فيما ظل أيمن شاردًا ممنيًا النفس

بانتهاء ذلك الكابوس، أفاق أيمن من شروده على صوت المذياع الذي تحدث من خلاله أحد المذيعين بادئًا حديثه بذكر تاريخ اليوم.. 16 يناير 2012 .

لترتسم ملامح الصدمة على وجهه، فاليوم هو الذكرى السنوية لزواجه، عذبه ضميره لائمًا إياه على قسوته المعتادة معها وإهماله لها، فقرر إصلاح الأمور وتكفل عقله بوضع الخطة، وبمجرد الوصول إلى مبنى وزارة الداخلية الذي وصلا إليه بصعوبة نظرًا لكثرة الحواجز قبله خوفًا من المظاهرات المتكررة، وقبل هبوطهما من السيارة تحدث أيمن قائلاً:-

- هشام.. كنت عايز أروح بدري، أصل النهاردة عيد جوازي وبصراحة أنا مقصر مع هدى أوي، أكيد زمانها فاكرة أني ناسي.. فهفاجئها بحفلة صغيرة كده.

ابتسم العقيد إعجابًا بفكرة صديقه قبل أن يرد مازحاً:-

- فين الإعلام اللي بيقول علينا متوحشين.. جوانا بني آدمين اهو ورومانسية اشهد يا تاريخ.

انطلقت ضحكاتهما وهبطا من السيارة متجهين إلى غرفة العمليات التي أعدها الرائد "سيف" بنفسه، جلسا كلاهما مستمعين إلى شرح الرائد الذي أجاز قائلاً:-

- إدارة المعمل الجنائي مدتنا بالحمض النووي للقاتلة وبصماتها، وأنا زودت البرنامج بقاعدة بيانات النساء المسجلات جنائيًا بالقاهرة والجيزة و6 أكتوبر.

أومأ ضابطا المباحث رأسهما قبل أن يختتم الرائد حديثه قائلاً:-

- العملية دي هتاخد من ساعة ونص لساعتين، مجرد ما هيحصل تطابق البرنامج مخصص لإصدار صافرة إنذار، بسم الله.

أنهى الرائد حديثه وبدأ في تشغيل البرنامج، تابع أيمن وهشام سير البرنامج ممنيين النفس بصوت صافرة الإنذار، مضت الدقائق ثقيلة تحت أنظار الضابطين وتوترهما، ولكن دون جدوى فقد أعلن البرنامج عن الانتهاء من البحث دون الوصول لحالة تطابق.

هبطا محملين بجبالٍ من اليأس يزفر كل منهما أنفاس الضجر، وأثناء هبوطهما لاحظ العقيد اهتزاز هاتف المقدم أكثر من مرة دون اكتراث من الأخير لينبهه قائلاً:

- ما ترد يابني.. تليفونك بيرن.

ليبتسم المقدم قائلاً:

- دي هدى.. أكيد زمانها هتتهبل ومفكراني ناسي

رد العقيد مازحاً:-

- طب رد عليها بدل ما تقفش عليك والليلة تبوظ.

غمز "هشام" بعينه قاصدًا إرسال مغزى إلى صديقه والذي فهمها على الفور لترتسم على وجهه ملامح الحسرة قائلاً:-

- ليلة أيه اللي تبوظ.. حرام عليك.

نطق المقدم بتلك الجملة وهو يضغط على زر الإيجاب على هاتفه.. ليتحدث بلهجة قاسية مصطنعة قاصدًا إحكام تمثيله.. ليأتيه رد زوجته على الهاتف:-

- أيمن.. فاكر كورس الجيتار اللي كلمتك عليه؟.. هيبدأ النهارده وعايزة أروح.

- يعني أنتي مخلياني أسيب اللي في أيدي عشان كورس جيتار؟!.. يا ستي ما تروحي.. سلام.

نظر العقيد إلى صديقه مندهشًا.. قبل أن يرد الأخير على نظراته المتسائلة:-

- لازم أظبط الدور.. رايحة كورس جيتار وهي بتخلص شغل على 5.. يعني قول هتيجي البيت على 6 ونص سبعة.. ناوي اعملها مفاجأة مش هتصدقها.

نظر هشام إلى عقارب ساعته ليجدها تقترب من الثالثة عصرًا ليربت على كتف صديقه قائلاً:-

- طب يلا.. إفراج أنت.. يا دوب تلحق.. على الله بس ترفع راسنا.

***

"يا سلام على حظك.. ركنة تحت العمارة بالظبط"

تحدث "كريم" وهو يشير إلى إحدى الأماكن الشاغرة فأسرعت وقامت بإيقاف سيارتها، ليبدءا بالهبوط والتوجه إلى مدخل العمارة والتي يبدو عليها الهرم نسبيًا.. قبل أن يتحدث كريم مرة أخرى:-

"معلش بقى يا دكتور.. أنا في الدور الرابع وزي مانتي شايفة مفيش اسانسير"

أومأت برأسها.. واتجها لصعود الطوابق الأربعة حتى وصلا إلى باب مركز التدريب الخاص به.. ولجا إلى الداخل وبدأت أعينها بالتجول داخل ذلك المركز بذهول، فهو أقرب إلى منزل عن كونه مركزا للتدريب فنظرت إليه متسائلة:-

- هي دي شقتك؟.. ولا سنتر تدريب؟!

- من ده على ده.. أنا ماليش أي قرايب ولا أخوات.. ودي كانت شقة أبويا وأمي الله يرحمهم.. فلما بدأت أعلم الجيتار.. عملتها مقر للتدريب.. المهم اتفضلي اقعدي ثواني وجايلك.

استجابت لدعوته وجلست على إحدى الأرائك وما زالت محتفظة بنظرات الذهول ولكن السبب اختلف بتلك المرة، فقد تجولت بعينيها داخل غرفة الاستقبال لتُلاحظ أن ذاك المنزل مُرتبًا لدرجة لا يشك بها عقل الناظر بأن من يقطنه هو شابُ أعزب.

لحظات قليلة مرت قبل أن يعود "كريم" حاملا آلته الموسيقية الخاصة به ليجلس جوارها تمامًا قائلاً:-

- شوفي بقى يا ستي.. قبل ما تتعلمي حتى ماسكة الجيتار، لازم تعرفي أن عزف الجيتار ليه مدارس كتير، أنا شخصيًا بفضل الكلاسيكي والفلامينكو.

- أنا بحب الفلامينكو أووي.. مش دي نفس المزيكا بتاعت جيبسي كينجز؟

رفع حاجبيه إعجابًا بمعلوماتها المبدئية لاسيما بذكرها اسم الفرقة الإسبانية المفضلة لديه قبل أن يقول:-

- أنا أصلًا اتعلمت جيتار عشان أغني أغانيهم.

- أيه ده أنت كمان بتغني؟!

- يعني على قدي كده.

صفقات طفولية متلهفة منها وهي تنظر إليه قبل أن تترجاه بإلحاح لم يتوقع أن يراه منها يومًا وهي تقول:-

- طب والنبي غني حاجة والنبي.. عارف no velvere ؟

ابتسم وهو يومئ رأسه إيجابًا قبل أن يمسك بجيتاره ويصدر همهمات لإعداد حنجرته.. بدأ يداعب أوتار جيتاره بأنامله مصدرًا لحنًا عذب جعلها تسترخي إلى الخلف وهي تتابعه بأعين لامعة قبل أن يبدأ الغناء بصوتٍ لم يخل من العذوبة متفوهًا بكلمات تلك الأغنية الإسبانية الرائعة.

وما أن أنهى غناءه حتى انطلقت صفقاتها أعقبتها بمحاولة فاشلة لإطلاق صافرة تشجيعية.. نتج عن تلك المحاولة انفجارهما بالضحك.. قبل أن يبدأ بالحديث مرة أخرى:-

- طيب مش جايين نهرج إحنا هنا.. هتتعلمي جيتار يعني هتتعلمي.

هب من مجلسه متجهًا إلى شاشة مُعلقة بغرفة الاستقبال ليضغط زر التشغيل قبل أن يتجه لجلب الريموت الخاص بها.. ويعود إلى موضع جلوسه مجيبًا على تساؤل عينيها:-

- عشان تعزفي جيتار.. لازم تحسيه.. هسمعك دلوقتي عزف لأحسن من داعبوا أوتار الجيتار على مر العصور.. باكو دي لوسيا.

ضغط زر تشغيل تلك المعزوفة الرومانسية.. ليسيطر الصمت على الأجواء، وجدت هدى نفسها تغمض عينيها وكأنها قد سُحبت إلى ما بين أوتار الجيتار.. طالما تمنت طوال فترة مراهقتها أن تتمايل بأحضان فارس أحلامها على أنغام تشبه تلك الأنغام في روعتها، ولكن الواقع قد بدد كل تلك الأماني.. ابتسمت بأسى وهي تتذكر تلك الأمسية التي قضتها بصحبة زوجها بإحدى المطاعم الفاخرة ليتصاعد صوت إحدى المقطوعات الرومانسية.. وتطلب هي منه أن يشاركها الرقص كما حال الأزواج الموجودين بالمكان، فلم يصبها من ذلك الطلب سوى النهر ونظرات الاستهزاء.

"تحبي ترقصي؟!"

أفاقت من شرودها على تلك الجملة لتجد "كريم" واقفًا أمامها داعيًا إياها لمشاركته الرقص، وكأنه تغلغل إلى عقلها ليقرأ ما أرادت.. وما بين تحذيرات ضمير أوشك على الانغماس بنومٍ عميق.. وما بين رغبةٍ مُلحة من النفس.. لم تستطع سوى أن تمد يدها لتتشابك أصابعهما ويبدءا بالرقص سوياً.

لم تكن أقدامها قد تعرفت على إيقاعات الرقص سوى بخيالاتها فقط، وبرغم ذلك فقد تناغمت خطواتها مع عزف باكو دي لوسيا، وكأنها قد خُلقت لترقص.. وكأن ذلك الإيقاع يصدر من بين ضلوعها وليس من بين أوتار الجيتار.

وكأن الأوتار أرادت ما أراداه بثنايا نفسهما، فهدأ الإيقاع تدريجيًا ليقتربا من بعضهما البعض ويبدءا بالتمايل، صوت بعيد من أعماق نفسها يناجيها بالاستفاقة، ولكن هيهات.. فقد انتفضت الحمم المكبوتة داخلها، وتراقصت أمامها خيالات طالما طاردتها، فبدأت تشعر بأصابعه التي أمسكت بيدها لتراقصها وكأنها تداعب روحها وليس يدها.. أغمضت عينيها ثملًا بأنفاسه الملتهبة والتي زادت من الوضع اشتعالا، لم تشعر بنفسها فأراحت رأسها على كتفه.. فاستجاب لتلك الفعلة فأدار ذراعيه حول منحنيات جسدها ولم تعترض.. أو لم تمتلك القوة الكافية لمجرد الاعتراض، لم يستطع هو الآخر مقاومة قوة الجذب بينهما، فأراح وجنته على وجنتها متهدًا تلك التنهيدات التي أحرقت رقبتها.. وكأنهما قد فقدا وعيهما استجابةً لشيطان كان ثالثهما.. فغرقا بقبلة طويلة زادت مدتها عن الثلاث دقائق.. وساقتهم الشهوة إلى القبلات واللمسات الملتهبة استعدادًا لخيالات نسجها عقلها فصارت واقعا لم تستطع مقاومته، فخارت قواها تحت تأثير شفاه ليسوقها إلى تلك الأريكة ملتهما شفتيها ثم عنقها، قبل أن تمتد يداه للعبث بمفاتن جسدها وهي شبه مغيبة، حتى أنها لم تدرك كيف

خُلع قميصها ليصل بشفاه إلى جسدها وانحناءاته، امتدت يده راغبًا في إنزال بنطالها، فهب ضميرها موقظًا إياها.. لتفتح عينها غير مصدقة لما يحدث.. دفعته بكل قوتها وأمسكت بقميصها لمواراة ما يمكن مواراته من جسدها الذي ما زال محتفظًا بآثار شفتيه.. اتجهت إلى باب المنزل مهرولة غير آبهة بجسدها العاري.. وصلت إلى سيارتها بعدما وارت جسدها على الدرج وانطلقت بأقصى سرعة لا تعلم وجهتها حتى وقفت بأحد الشوارع الجانبية وأجهشت في البكاء.

***

وقفت تتأمل هيأتها بالمرآة، تمر عيناها ببطء شديد متفحصة ذاتها من رأسها وحتى أخمص قدميها تتذكر كلماته بالهاتف وهو يقول:-

"ينفع نتقابل في أي مكان.. محتاج أتكلم معاكي ضروري أوي يا دكتور"

ارتسمت تلك الابتسامة على شفتيها وهي ترسم بخيالها مجرى الحوار بينهما، ربما سيخبرها بانجذابه الشديد لها، أو من الممكن أن يفاجئها بقرار سريع كأبطال أفلامها المفضلين.. ليسألها بأعين لامعة.. "تتجوزيني؟!".. هل ستهز رأسها إيجابًا وتبادله الابتسامة، أم تعطي للخجل شرف الإيجاب على سؤاله.. وقد يفعل ما ظلت تحلم به طوال أعوامها التي فاقت الثلاثين.. قد يصطحبها إلى أحد الأماكن الرومانسية.. المطلة على شاطئ النيل ليجثو على ركبتيه مقدمًا صك الوقوع في غرامها مصحوبًا بباقة من الزهور.

أنهت عُلا استعدادها للهبوط من منزلها وهبطت لتواجه نظرات جيرانها بمنطقتها المليئة بالإعجاب المختلط بالذهول نظرًا لأناقة مظهرها المفاجئة للجميع.

ربع ساعة فصلتها عن الوصول إلى الكافيتيريا حيث اتفقت مع العقيد هشام على اللقاء للمرة الثانية على التوالي بنفس المكان، ولجت ليقابلها بابتسامة وأعين لامعة يملأها الإعجاب قبل أن يتواجها بالمقاعد ويبدأ العقيد الحديث:

- شوفي يا دكتور.. يمكن إحنا معرفتنا ببعض مش من مدة طويلة ويمكن .بس فعليًا أنا أول مرة أقابل حد يفهمني بالشكل ده.. كأننا نعرف بعض من سنين.

ابتسمت عُلا ووارت عينيها بعيدًا عن ناظريه خجلاً، ليستكمل حديثه قائلاً:

- وده اللي خلاني أطلب منك نتقابل النهارده، عشان أسألك سؤال واضح ومحدد.. وأتمنى ألاقي الإجابة برده واضحة.

أومأت رأسها برقة وهي تقاوم تلك الابتسامة البلهاء التي كشفت عن أسنانها ناصعة البياض.. هيأت أذنيها لسماع كلماته.. وبدأت أنفاسها بالتلاحق.. حتى تحدث قائلاً:

- البرنامج مقدرش يتوصل لتطابق مع أي حالة، أنا قربت أفقد الأمل، عشان كده عايز أعرف هل أنا ماشي صح ولا موهوم؟

تلاشت جنبات قصر شيده خيالها، فتوارت بسمتها ليحل محلها الوجوم، أما تلك الأعين اللامعة التي أشاحت بها إلى اللاشيء منذ قليل فقد ركزتها عليه تطلق بها سهام الذهول ولكنها لم تستطع كتمان صدمتها، فتحدثت غاضبة:-

- هو حضرتك جايبني هنا.. عشان تسألني السؤال ده؟

عقد هشام حاجبيه متعجبًا من غضبها البادية ملامحه من حروفها ليرد بهدوئه المعهود:-

- أومال حضرتك كنتِ مفكرة أيه؟

أعادها ذلك الاستفهام إلى رشدها، فعادت الابتسامة إلى شفتيها وإن كانت مصطنعة تلك المرة وتتحدث بنبرة هادئة بعد نحنحة:-

- كنت فاكرة حضرتك وصلت لحاجة في القضية وعايز تبلغني.

زفر بأسى وكأنها قد أصابت مربط فرس همومه، قبل أن يداعب خصلات شاربه الكثيف ويبدأ بالحديث:-

- للأسف ماوصلتش لحاجة.. وشكلي مش هوصل، واضح أن كلهم صح وأنا اللي ماشي ورا افتراض وهمي، ده أنا حتى الستات اللي في نفس العمر التقريبي للجانية ومعروف عنهم ممارسة الرياضيات العنيفة دورت فيهم.

تساءلت بتعجب قائلة:-

- واشمعنى الرياضيات العنيفة؟

- يعني جرائم بالعنف ده ضد رجال بنيانهم الجسدي مش ضعيف محتاجة ست بنيانها قوي عشان تقدر تسيطر عالضحايا وتقتلهم بالشكل ده.

هزت الطبيبة رأسها نفيًا اعتراضًا على تحليل العقيد قبل أن تقول:

- تحليل حضرتك مش مظبوط، إحنا حاليًا شبه متأكدين أن الجانية مختلة الخطوات والتفكير، أو بمعنى أوضح مريضة نفسيًا لدرجة إيذاء الغير.

هزات من رأس العقيد دعتها لاستكمال حديثها وهو ما فعلته قائلة:

- الضغوطات وفقدان الثقة في الغير وفي النفس، كم الخذلان اللي ممكن الإنسان يشوفه في حياته ما بيعديش زي مالناس متخيلة، ده بيتراكم ولو زاد عن الطاقة ممكن يحصل ما يشبه بالانفجار، فبيتحول الإنسان من دور الضعيف المتهاون في حقه، لوحش منتقم يفترس كل اللي قدامه.

مط العقيد شفتيه غير مقتنع بحديث الطبيبة وعبر عن ذلك قائلا:

- ضغوطات أيه اللي تخلي إنسان يقتل 3 أفراد ميعرفهمش يا دكتور، أنا مش مقتنع بده خالص.

- فاكر ماري لويز اللي حكتلك عنها؟!، دي كل الضغوطات اللي شافتها في حياتها أن تم التحرش بيها وبعدها جوزها خانها، فتحولت لقاتلة متوحشة.. شوف بقى أقل ست في مصر بتتعرض لأيه.. هتلاقي أضعاف أضعافها.

ابتسم العقيد سخريةً من حديث الطبيبة قائلاً:

- ليه يعني؟! على فكرة أنا ضد النظرة اللي شايفة المرأة مظلومة والراجل الشرقي جاني.

نظرت إليه بتحد، قبل أن تمد يدها لتمسك بعلبة سجائره وتسحب إحدى اللفافات من داخلها وتضعها بين شفتيها، ليهب العقيد واقفًا ساحبًا تلك السيجارة وهو يتحدث بنبرة الغضب:

- أنت بتعملي أيه؟

ابتسمت علا وهي تقول:

- هولع سيجارة.. أيه المشكلة؟.. ما أنت بتشرب سجاير وعادي.. أنت لو قلعت في الشارع هيقولوا عليك مجنون، أنا لو عملت ده هيقولوا عليا إيه؟!

زفر هشام غضبًا من حديثها، وهم بالحديث إلا أن الطبيبة سبقته بتلك الفعلة قائلة:

- ممكن تقولي لو عرفت أن مراتك قاعدة مع راجل في مكان عام زي دلوقتي هتعمل أيه؟

ارتسمت على وجه هشام ملامح الغضب وأرسل نظراته المحذرة إليها، قبل أن تكمل هي:

- لكن حضرتك قاعد دلوقت معايا عادي جدًا كأنك حمل وديع.

- لو سمحت يا دكتور خلينا في القضية.

خبطة من يدها على الطاولة كانت ردها، قبل أن يرتفع صوتها لتتحدث:

- هي دي القضية، تقدر تقولي ليه البنت لو تم التحرش بيها أو حتى اغتصابها تبقى وصمة عار لأهلها لو فتحت بؤها، في حين الشاب يعمل اللي هو عايزه.

- يا دكتورة دي جريمة قتل وحضرتك مكلفة بالتحقيق فيها مش مؤتمر دفاع عن المرأة.

لم تنجح محاولته في إثنائها عن الحديث فاستمرت بالتساؤلات التي انطلقت من فمها كطلقات السلاح الآلي:

- لو راجل متجوز حب واحدة؟.. يبقى عادي جدًا ونزوة وهتعدي، تقدر تجاوبني لو مراتك عرفت عليك راجل هتعمل أيه؟؟ جاوبني يا سيادة العقيد.

فشل في تمالك أعصابه أكثر من ذلك، فاهتزت ساقه بسرعة كبيرة وصاح قائلاً:-

- إحنا رجالة شرقيين ولاد ستين في سبعين، وده طبعنا.. ومراتي طول ما هي على ذمتي عمرها ما هتعرف راجل لأنها ست محترمة، ولو عملتها أدبحها لأنها ساعتها يبقى خسارة فيها الحياة.

ابتسمت بسخرية قبل أن تنظر للعقيد من أعلى إلى أسفل باحتقار قبل أن تقول:-

- بعد إذنك مضطرة أمشي.

هبت من على مجلسها تاركة للعقيد جبلا من الأسئلة التي أجاب عنها بحكم العادات، ولكن عقله قد رفض كل إجاباته.

***

مرت الساعات ثقيلة منذ عودته إلى منزله، استغلها في الإعداد إلى تلك المفاجأة وما أن انتهى حتى جاء دور متابعة عقارب الساعة التي قاربت السابعة مساءً، فكر بالاتصال بها.. ولكن خشي أن تلك الفعلة قد تهدم خطته.. فقرر الانتظار بشرفة المنزل منتظرًا وصول سيارتها، دقائق لم تتجاوز العشر فصلت وقوفه بالشرفة عن ظهور سيارتها أسفل العمارة، فأسرع أيمن إلى الداخل لإكمال أخر تفاصيل تلك المفاجأة.

فتحت باب منزلها وولجت إليه تجر أذيال الخيانة وما أن رفعت ناظريها إلى أعلى حتى فتحت فمها عن أخره ذهولاً، فقد وجدت غرفة الاستقبال قد زُينت بالورود من كل جانب بما فيها طاولة السُفرة التي احتوت على أرقى أنواع الطعام وأشهاه مُعدة بطريقة أنيقة على ضوء الشموع، وقبل أن تصل إلى سبب لكل ذلك، تبادر إلى أذنيها صوت تلك الموسيقى الإسبانية التي اعتادت سماعها وعشقتها لتنظر تجاه مصدرها لتجد زوجها "أيمن" واقفًا ممسكًا ببوكيه آخر من الورود الحمراء المزدهرة قائلاً:-

"كل سنة وأنتي طيبة يا أحلى هدى في الدنيا.. النهارده بقالنا 10 سنين مع بعض"..

لم تشعر بنفسها فسقطت حقيبتها من يدها وامتلأت أعينها البنية بالدموع التي لمعت بتلك الإضاءة الخافتة، فجلست على أقرب مقعد بجوارها لتدخل بنوبة أخرى من البكاء الحاد فدارت وجهها بيديها وأطلقت العنان لشهقاتها.. وسط متابعة وذهول أيمن الذي اقترب منها ببطء والسعادة ما زالت مرتسمة على وجهه ظنًا منه أن ذلك البكاء من هول مفاجأته، اقترب منها مربتًا على كتفها قبل أن يجثو على ركبتيه بصعوبة نظرًا لوزنه الثقيل، ويبدأ بالحديث:-

- طبعًا كنتي مفكراني هنسى يوم زي ده، انتي اتحملتي معايا كتير أوي يا هدى.. أنا بحبك

أنهى كلماته ظنًا منه أن تلك الكلمات ستكون إشهارًا لليلة رومانسية ستُخلد بتاريخ علاقتهما، ولكن على النقيض لم يجد سوى ازدياد بحدة البكاء حتى أنها رفعت رأسها لترتمي بأحضانه وتتمسك بثوبه كطفلٍ هارب من الحرب، عشر سنوات مضت على زواجهما لم يرها تبكي بتلك الدرجة حتى عند وفاة والديها، فضمها إلى صدره مربتًا عليها بلمسات حانية، لائمًا نفسه على إهماله له، واستمرت هي ببكائها الذي تصاعد حتى وصل حد الصراخ وسط ذهول اعتراه لاسيما مع تشبث يديها بثيابه وكأنه الملجأ والوطن، لم يستطع تمالك زمام نفسه هو الآخر فسقطت دموعه تواسيها، جاهلة بما أصابها.. ساعدها على القيام حتى وصلت إلى فراشها فارتمت عليه سامحة لذلك الفراش بنيل قسط آخر من الدموع، وما بين مواساة منه وتربيتًا لم يتوقف.. بدأت حدة بكائها بالانخفاض حتى اختفى نحيبها ليحل محله صوت أنفاسٍ غطت بنومٍ عميق هربًا من لومات ضميرٍ اتهمها بالعُهر.

هي تلك الأماكن المظلمة والنائية التي تجذبها ليلاً، تشعر وكأن شيئًا ما يسحب قدميها للسير تحت عباءة الظلام.. انطلقت لا تعرف مقصدًا ولا طريقا حتى تسمرت قدماها وهي ترى ذلك الشاب على الناحية الأخرى من الطريق يطرق باب سيارته بعدما هبط منها غاضبا، ولكن ما لفت انتباهها هو ذلك النحيب الأنثوي الذي ظهر بخلفية المشهد، وما هي إلا ثوان معدودة حتى ظهر مصدر ذلك الصوت يقف بجوار ذلك الشاب.. فاقتربت منهما ببطءٍ شديد تتوارى بغياهب الليل.. حتى نمى إلى أذنيها ذلك الحديث بدأته إحدى الفتيات بصوت غلبه البكاء قائلة:-

- يا أحمد أنا عايزة أعرف أنت ليه بتعاملني كده؟.. ليه متغير معايا؟

زفر ضيقًا وبدأ بإشعال سيجارة لينفخ أول أنفاسها قبل أن يرد عليها بصوتٍ لم يخل من القسوة:-

- يعني إحنا نازلين نتبسط ونفرفش يا ياسمين ولا نازلين تعكنني علينا؟!

ابتسمت ألمًا قبل أن ترد:-

- وهو الانبساط والفرفشة بالنسبة ليك بوس وأحضان ووساخة في حتة مقطوعة مش كده؟!

ألقى بسيجارته غضبًا وهو يصيح بها:-

أيوه يعني أنتي دلوقتي عايزة أيه؟!

صاحت هي الأخرى مستغلة خلو الطريق من المارة:-

- عايزة علاقتنا تبقى في النور.. عايزاك تتقدملي زي ما كنت واعدني.

ابتسم "أحمد" بسخرية قبل أن ينظر إليها قائلاً:

- في الحقيقة يا ياسمين.. أنا شايف أننا مش مرتاحين مع بعض، أنا شايف أن كل واحد يروح لحاله.

سيطرت عليها الصدمة، وانهمرت دموعها وهي تنظر إلى ذلك الفتى الذي طالما طاردها بوعوده حتى خر فؤادها صريع كلامه المعسول.. ليحولها من تلك الفتاة صعبة المنال إلى دمية يعبث بها وقتما شاء.. صمت لم يدم طويلًا قبل أن تنفجر صارخة:-

- يعني أيه؟.. هتسيبني؟!.. طب واللي حصل بينا؟

أدار وجهه عنها لينظر إلى مياه ترعة المريوطية بفيصل.. قبل أن يتحدث بتلك النبرة القاسية:-

- أنت مش لسه بنت؟!.. خلاص يبقى حصل خير.. وبعدين أنا مغصبتكيش على حاجة سواء لما كنتي بتجيلي البيت أو حتى الصور اللي بعتهالي.

استمر بكاء "ياسمين" وتوسلاتها والتي تحولت إلى دعوات واتهامات بل وسباب قبل أن تتركه وتنصرف مهرولة.

أما هي فبعدما استمعت إلى ذلك الحوار، بدأت زمجرتها في الانطلاق، فرصدت أعينها تلك الفريسة وهو يقف غير مباليًا على حافة ترعة المريوطية مشعلًا إحدى سجائره، فاقتربت منه بأطرافٍ متشنجة فقدت السيطرة عليها.. وكأن الوحش الكامن بداخلها قد اتخذ قرارًا فصل لا رجوع فيه، شعر هو بتلك الأنفاس الغاضبة تقترب منه فنظر يمينًا ويسارًا.. وفجأة..

***

16 يناير 2012

صديقاتي العزيزات المنتميات إلى معشر النساء.. سأبدأ رسالتي بذكر اسمي المستعار كما جرت العادة برسائلكن، أنا العاهرة.. نعم أنا العاهرة ولا استحي.

فالعُهر ذنبي وجريمتي التي ألصقها الجميع بي.. أتذكر ذلك الفتى الذي ألح كثيرًا ولهث خلفي طيلة أيام وشهور.. ولكني لم ألتفت له ولم أعره أي اهتمام.. وبدلًا من إعلان فشله بالإيقاع بفريسة جديدة أو تجاهل الأمر برمته.. روج الشائعات المليئة باتهامات العُهر المقرونة بخطواتي دون أي محاولة لإثنائه من ضميره العفن فصرت بنظر من صدقوه عاهرة، أما ذلك الفتى الذي تفوق عن سابقه فنجح في اختطاف فؤادي واللعب على وتر إهمال الجميع لي.. فما أن لامست يده يداي وتجاورنا بالطرقات حتى وقع المجتمع على صك عُهري.. ولكن فليذهب المجتمع إلى الجحيم.. هكذا علمني وهكذا شعرت معه.. لا عيب ولا ناس ولا منطق.. علمني أن الحب هو الجنون فصرت تلك المجنونة الهائمة التي تضرب بقواعد المجتمع والأخلاق عرض الحائط مادمت جواره.. ثم.. ثم اختفى.. اختفى بعدما سقاني العُهر بملعقة الحب، فنصبوني عاهرة.. ورأوه قديساً.

أنا العاهرة التي تجهر بحب زوجها على الملأ.. بالطبع سيرفض هو لأن الجهر بالحب من شيم العاهرات هكذا مُلئ رأسه العجيب.. لا حق للأنثى بالتعبير عن مشاعرها على الملأ.. لا حق للزوجة في استدعاء زوجها للفراش وإلا صارت مثلي عاهرة.

صديقاتي المنتميات إلى معشر النساء، لا تخجلن من ذلك اللقب.. فهو صنع أيديهم، ذكورٌ من حولونا من تلك الفتاة البريئة إلى دمى تعبث بأجسادنا أياديهم، ذكورٌ من أهملونا فرفض العقل إهمالهم

ولهث خلف أول اهتمام أو مغازلة، نعم فالإهمال يصنع العاهرات،.. ذكورٌ من استغلوا أجسادنا وطمعوا فيها.

لا بأس أن أطلقوا علي ذلك اللقب.. ولكن ألا يوجد ما يوازيه ذكوريا؟!

فالصادق أُنثاه صادقة.. والكاذب أُنثاه كاذبة.. ولكن ماذا عن العاهرة؟!.. هل سمعتم يومًا ما يوازيها بعالم الذكور؟!

هل رأيتم من يتهم رجلًا بالعُهر لتعداد علاقاته النسائية.. أو لخيانته لزوجته.. أو لأي من الأسباب؟

حسنًا.. فهم جعلوني عاهرة وأنا ارتضيت بحكمهم.. فأنا حصاد ما زرع الذكور داخلي.

أنهت العاهرة رسالتها واستعدت للهبوط من منزلها الذي طالته يد الفوضى.. ارتدت تلك التنورة التي سمحت لفخذيها النحيفين بالبروز.. وبعد خليط من مساحيق التجميل جاء الدور على الشعر المستعار والذي اختارته قصيرا أحمر اللونً بالكاد يلامس أكتافها العارية، تناست نظرات المارة ولسعات البرد وقررت الهبوط.. تجولت بالطرقات تستمتع بنظرات الرجال الناهشة لجسدها.. حتى وصلت إلى باب منزل صديقتها فوضعت رسالتها بالصندوق الخشبي الخاص بالرسائل.

أدارت وجهها لتجد كهلا يتطلع بساقيها النحيفتين عاقدًا حاجبيه.. فغمزت له بعينها ومدت يدها لترفع تنورتها إلى أعلى كاشفة له عما تبقى من فخذيها وسط ذهول الرجل، قبل أن تلثم يدها وترسل له قبلة هوائية.. وتبدأ بهبوط الدرج.

الفصل السادس.. قُيدت ضد مجهول

الرابعة فجرا، استيقظ على صوت الرعد المختلط بنغمة هاتفه المزعجة، فسارع بالرد ليأتيه خبر الجريمة الرابعة.

أغلق أيمن هاتفه وبدأ بالنظر إلى تلك الراقدة بجواره منذ المساء، لم تغادر فراشها ولم تفتح عينها ولو لدقيقة، حاول كثيرًا إيقاظها ولم تثمر محاولاته سوى ببعض الهمهمات الغاضبة منها والرافضة للاستيقاظ، فأنهى ارتداءه لملابسه وطبع قبلة حانية على جبينها وغادر المنزل.

وبمجرد إغلاقه لباب المنزل، فتحت عينها التي أجبرتها على تقمص النوم لمدة ليست بقصيرة كحالنا جميعًا عند الهروب من الواقع، أجبرت أجفانها على الانغلاق.. أرادت أن ترى ذلك السواد فضلًا على مواجهة الواقع الذي تمقته وتتمنى الاختفاء من بين طياته، فتحت عينها بعدما غادر من اضطرت للهروب من نظرات عينيه المتسائلة، زادتها تلك القبلة التي طبعها على جبينها قبل مغادرته ألما، فأمسكت بهاتفها الذي لم يتوقف عن الاهتزاز منذ المساء والمُعد على الوضع الصامت.. لتجد اسم "كريم" على الشاشة، نظرت إلى الهاتف باشمئزاز يضاهي ما تضمره لنفسها وأغلقت الهاتف.

أما كريم فقد أوشك على فقدان عقله منذ أن تركته بالأمس، هواجس الفراق لم تعطه الفرصة لالتقاط أنفاسه فعاد إلى التدخين المُقلع عنه منذ عامين.. حتى أنه قضى على ما يفوق العشرين لفافة من ذلك التبغ، لم يستطع انتظار ساعات الصباح فهبط من منزله في محاولة منه للقضاء على الوقت، ازدادت تلك النبضات بجانب رأسه وبرزت عروق جبهته قلقاً، فأمسك بهاتفه محضرًا رقمها محاولًا الاتصال وبعد كل محاولة فاشلة منه لسماع صوتها، تتباين ردود

أفعاله، فتارة يلعنها وتارة يترجاها بالرد، ولكن ما سيطر على ذهنه هو إحساسه الدائم بالوحدة وعودته إلى ذلك الإحساس البغيض بالفراق.

ربع ساعة على الأكثر منذ وصول البلاغ فصلت تواجد هشام بمكان الحادث، وما أن وصل إلى محيط ترعة المريوطية.. حتى لاحظ علامات الانزعاج والفزع على ملامح رجال الشرطة والبحث الجنائي، تخطى هشام الجميع تاركًا أيمن بصحبة الرجال الباقيين حتى وصل إلى مكان الجثمان الموارى بذلك الغطاء الأبيض، عقد حاجبيه بعدما رأى بقع الدماء الظاهرة على ذلك الغطاء.. فانحنى ليزيحه لينتفض متراجعًا من هول ما رأى.. فبجانب السحجات المعتادة الموجودة على عنق القتيل.. فقد تدلت أمعاءه خارج جسده.. نظرًا لتلك الجروح الكبيرة التي لم ير لها مثيلا طوال عمله، تساءل صامتًا وهو يغطي الجثمان.. عن إمكانية أن الذئاب والكلاب الضالة هي المسئولة عن ذلك المنظر البشع الذي لا يمكن لبشري أن يكون مسئولًا عنه.

" أحمد فوزي الصفتي.. 19 سنة.. طالب في كلية الحقوق.."

قطع صوت أيمن شرود العقيد.. ليلتفت إليه الأخير بأعين مفزوعة تفيض بالأسئلة.. ليستكمل المقدم حديثه:-

- بنسبة كبيرة الكلاب الضالة هي المسئولة عن المنظر البشع ده.. القتيل تليفونه موجود.. والعربية اللي جنبه دي عربية والده.

هز العقيد رأسه دون النطق بكلمة قبل أن يشعل إحدى لفافات النيكوتين ويبدأ بالتساؤل وقد بدا على وجهه علامات الاضطراب صارخا:-

- الموضوع عمال بيزيد يا أيمن.. قولي المفروض نعمل إيه أكتر من كده..

حاول أيمن تخفيف وطأة الأمر عن صديقه فتحدث قائلاً:-

- واضح يا هشام أن كلامك صح.. جريمة حمدي أبو الحمد لسه نارها ماطفتش.. الجانية لا يمكن تكون إنسانة طبيعية.. بس عالأقل ده يدل أننا ماشيين صح.

التفت هشام إليه رافعًا حاجبيه ليتحدث بنفس النبرة الغاضبة:-

- 4 جرايم في الفترة دي وماشين صح يا أيمن؟.. أومال لو ماشيين غلط كان حصل أيه؟

أنهى العقيد تساؤله ولم ينتظر الرد، بل أخرج هاتفه محضرًا رقم الطبيبة وكأنها ملاذه الأخير، لم يأبه بالتوقيت الباكر ولا بتلك المشادة التي حدثت أمس بينهما، مرات من الاتصال دون رد.. ولكنه لم ييأس حتى جاءه صوتها القادم من غياهب النوم.. ليتحدث بلهفة قائلاً:

- محتاج أشوفك ضروري يا دكتور، فيه جريمة رابعة في المريوطية.

***

أقل من الساعة فصلتها عن ملاقاة العقيد رغم برودة الجو القارسة إلا أنها هبطت لملاقاته حيث كان ينتظرها بسيارته بأحد الطرقات القريبة من جامعة القاهرة ارتادت سيارته بسرعة هربًا من قطرات الأمطار المنهمرة بشدة وما أن التقطت أنفاسها حتى بدأ العقيد بالحديث:

- أولًا أنا أسف عاللي حصل امبارح، اتمنى أن ده ميأثرش على شغلنا مع بعض كفريق لأن..

لم تمهله لاستكمال الجملة، فقاطعته قائلة:

- من غير ما تكمل، أنا كمان أسفة.. ومتقلقش ده مش هيأثر على شغلنا بدليل أني وصلت لاستنتاج.

انتبه العقيد إليها ودب الحماس بنظراته بعد يأس لتستكمل حديثها قائلة:

- بالنظر لأي سلسلة جرائم عشوائية بتحصل، عادةً وبنسبة كبيرة السر بيكون ورا أول جريمة، بعدها بيبدأ القاتل يخرج عن السيطرة ويصاب بما يسمى بهوس القتل التكراري، يعني يقتل بنفس الطريقة.. وده موجود في قضيتنا.

عقد هشام حاجبيه متذكرًا تفاصيل جريمة سليم متسائلًا بينه وبين ذاته كيف يقبع حل ذلك اللغز خلف تلك الجريمة قبل أن يقول:

- أيوه بس أنا بأكدلك أن مفيش أي علاقة بين الجانية وبين سليم.

تنهدت الطبيبة قبل أن تعتري الثقة ملامحها وتبتسم قائلة:

- ده لو سليم أول جريمة.. تعالى نفكر كده لو جريمة سليم محصلش بعدها الجرائم التانية دي، كان أيه اللي هيحصل؟

- كنا هنفضل ندور ونحقق وفي الآخر هتقيد ضد مجهول.

- طب وليه ميكونش في جريمة قبل كل الجرائم دي وقيدت ضد مجهول؟

صمت العقيد وكأنه يدرس احتمالية ذلك التحليل، قبل أن ينظر إلى الطبيبة باسمًا وهم بالحديث إلا أن صوت رنين هاتفها منعها من ذلك لتجيب على الهاتف قائلة:

- أيوه يا دكتور شُهدي، أنا مع العقيد هشام أهو.. لا مش هتأخر إن شاء الله هاجي في ميعادي.

أنهت الطبيبة حديثها في الهاتف، والتفتت إلى العقيد لتجده مسلط ناظريه على شاشة هاتفها المضاءة قبل أن يقول وهو يشير إلى تلك الشاشة:

- دي بنتك اللي شيلاها في الصورة دي؟

ابتسمت الطبيبة بأسى وهي تهز رأسها إيجابا، قبل أن يستكمل العقيد:

- ممكن أشوف الصورة؟

مدت الطبيبة يدها بالهاتف إلى هشام الذي أطال التدقيق بالصورة قبل أن يقول:

- شبهك بالظبط.. شكرًا يا دكتور على مساعدتك ليا في كل حاجة.

ابتسمت الطبيبة وهمت بالهبوط من السيارة إلا أنه منعها من ذلك بقوله:

- استني هوصلك المستشفى.

انطلقا بسيارة العقيد تحت سيطرة الصمت، وبين دقيقة والأخرى يلتفت العقيد ناظرًا إلى عُلا التي بادلته النظرات بل زادت عليها بابتسامات الخجل، وصلا إلى مقر المشفى وودعته لتلج إليه، بينما انتظر هشام دقائق قليلة استغلها في الاتصال بزميله أيمن ليملي عليه بعض الأوامر.. ولكنه لم يذهب إلى عمله، فقد كان على موعد هام مع أحدهم.

***

الثانية عشرة ظهرًا بقطاع التكنولوجيا بوزارة الداخلية، وقف أيمن ممسكًا بهاتفه والتوتر جليًا عليه نظرًا لتأخر صديقه العقيد عن

الميعاد المحدد بينهما.. حاول الاتصال به العديد من المرات دون رد، وأخيرًا خرج العقيد من المصعد ليهرول عليه أيمن قائلاً:

- أيه يا هشام أنت فين؟! مستنينك من بدري ما بتردش ليه؟!

لم يجب هشام سوى بنظرات مبهمة إلى صديقه فصمت الأخير متعجبًا وسارا باتجاه غرفة العمليات ليقابلهما الرائد "سيف" بعبارات الترحيب قبل أن يعيد على آذانهما شرح طريقة عمل البرنامج مختتمًا حديثه قائلاً:

- بناء على تعليماتكم أنا ضفت الأدلة الخاصة بالجرائم المقيدة ضد مجهول في أخر سنة، العملية دي الوقت المتوقع ليها من 4 ل 5 ساعات.

قاطعه أيمن معترضاً:

- أيوه بس ده كتير أوي يا سيادة الرائد!

ابتسم الرائد "سيف" قبل أن يُعقب قائلاً:-

- حضرتك أكتر حد عارف كم الجرايم مجهولة الجاني من ساعة يناير لحد دلوقتي يا فندم.

أنهى الرائد حديثه قبل أن ينطق بالبسملة، ويضغط زر تشغيل البرنامج لتبدأ رحلة البحث على شاشة العرض المعلقة.

مرت الدقائق بطيئة ومملة، فحاول أيمن كسر أواصر ذلك الملل بالتحدث إلى العقيد قائلاً:

- مالك يا هشام؟!، وشك باين أن فيه حاجة كبيرة حصلت؟!

استمر العقيد في صمته مكتفيًا بنظراته ولسانه المُكبل العاجز عن التعبير ليستكمل أيمن حديثه محاولًا تحليل تلك الحالة:

- أكيد اللواء عاصي كلمك.. زمانه قالك نفس الكلام اللي سمعهوني.. أننا مش شايفين شغلنا وأن لازم نقبض عالجاني قبل 25 يناير.. مش فاهم هو بيفكر إزاي.. نقبض على مجرمة بالخطورة دي في ظرف كام يوم؟!

وأخيرًا تحدث هشام:

- عارف يا أيمن أكبر خطأ هو إلصاق كلمة مجرم لمجرد قيامه بجريمة، وإلصاق كلمة مجني عليه لمجرد أنه اتقتل أو اتصاب.. تعرف.. أوقات كتير بيكون الحال معكوس.. أوقات كتير بنكون إحنا المجرمين الحقيقيين، والقاتل هو المجني عليه.. مجرد رد فعل على كل أفعالنا.

أضاق أيمن حدقتي عينيه محاولًا التوصل لمغزى كلام صديقه.. قبل أن يتساءل الأول قائلاً:

- مش فاهم أيه معنى كلامك ده؟!.. أنت كنت فين؟.

- كنت مع الدكتورة عُلا، وبعدها روحت مشوار هحكيلك عليه بعدين.

- طب ووصلتوا لحاجة؟

- تعرف يا أيمن.. الإنسان من كتر الضغوطات والانكسارات اللي بيمر بيها ممكن ينفجر؟!، ممكن ينقسم لشخصين أو اكتر من غير ما حد يلاحظ.. والأغرب أن هو نفسه مبيبقاش فاهم ده.. ممكن يغلط ويستنكر فعلته، ممكن يتكلم ويكذب نفسه بعدها.. ده أحيانًا ممكن يقتل ويقبض على نفسه.. بيسموه في الطب النفسي "اضطراب الهوية التفارقي".

أنهى العقيد حديثه والتفت إلى صديقه ليجده بعالم آخر، واجم الملامح.. وكأنه الحاضر بجسده ذو العقل الغائب، قبل أن يربت على ركبته برفق ويتساءل مازحًا محاولًا شق جبال العبوس بوجهه قائلاً:-

- أنت بقى مالك يا أيمن؟!.. مفاوضات إمبارح ماكنتش موفقة ولا إيه؟!

زفر أيمن وكأنه يزيح جبالًا من الهموم.. قبل أن ينظر إلى هشام ويمط شفتيه.. ليتحدث الأخير:-

- شوف يا أيمن.. إحنا بنقعد مع بعض هنا أكتر ما بنقعد في بيوتنا.. أنا عايزك في مهمة صعبة، وعمرك ما هتعرف تؤدي في شغلك وأنت متعكنن كده.. جرب تحكيلي وتفضفضلي.. يمكن أقدر اساعدك.

نظر أيمن صوبه وهو يومئ برأسه إيماءة فاقد الأمل قبل أن يبدأ بالحديث:-

- هدى مش طبيعية خالص يا هشام، فيه حاجة غريبة أنا مش فاهمها.. بقالها كام يوم متجاهلاني تمامًا وكأنها في دنيا تانية.. أنا كنت مفكر انشغالي عنها هو السبب.. عشان كده قررت أحاول أعوضها عن ده إمبارح.. لكن اللي حصل أنا مش فاهمه لحد دلوقت.

نظر هشام إلى صديقه بتعجب قبل أن يدعوه لاستكمال سرده قائلاً:-

- وأيه اللي حصل إمبارح؟

بدأ أيمن في سرد كواليس ليلة أمس مبتدئًا بإعداده لتلك المفاجأة مرورًا بوصول هدى وصدمتها التي فاقت التوقع قبل أن ينهي سرده لذلك قائلاً:-

- ومن ساعتها وهي نايمة على السرير كل ما أقرب منها أو أنادي عليها تغمض عينيها وتعمل نايمة.. فبمثل أني مصدقها.. مش عايز أضغط عليها.

هم العقيد بالتحدث إلا أن صافرة الإنذار الخاصة بالبرنامج انطلقت ليهب المقدم أيمن من مجلسه ناظرًا إلى الرائد الذي هب هو الآخر لتحميل نتائج التطابق.. وسط لامبالاة من العقيد.. أنهى الرائد عمله وبدأ بالتحدث منفرجة أساريره قائلاً:

- حصل تطابق مع جريمة حصلت في العجمي من شهرين تقريبا.

ليرد أيمن والحماسة تغزوه:-

- تفاصيل الجريمة تقدر تجهالنا؟

أومأ الرائد سيف برأسه إيجابًا وضغط بعض الأزرار بحاسوبه قبل أن يقول:

- البصمات بتاعت الجانية في الجرائم الثلاثة توافقت مع بصمات كانت موجودة في موقع جريمة قتل في العجمي حصلت يوم 19 نوفمبر الماضي، الجريمة دي اتقتل فيها راجل اسمه "طاهر أبو الفضل"

تساءل المقدم أيمن:-

- مين طاهر أبو الفضل ده كمان؟!

هنا قرر العقيد هشام المشاركة في الحديث، وهب من مجلسه قائلاً:

- طاهر أبو الفضل صاحب دار نشر مغمورة اسمها "الطاهر" للنشر والتوزيع.. وفي الحقيقة ده مش اسم على مسمى خالص.

نظر أيمن يمينه ويسارًا وكأنه يبحث عمن يجيبه على التساؤلات الموجودة بعقله.. ليعبر عن أحدها قائلاً:

- أنت تعرفه يا هشام؟

ابتسم العقيد بأسى:

- لحد النهارده الصبح مكنتش أعرفه.. ومكنتش أعرف أنه أتقتل لحد دلوقت..

شكرًا يا سيادة الرائد، يلا يا أيمن.

انصرف العقيد وبصحبته صديقه الذي ما زال محبوسًا في حالة الفوضى الفكرية.. يلاحق صديقه بالتساؤلات التي لا يجيب عنها الأخير سوى بالصمت.. حتى وصلا إلى باب سيارة هشام الذي تحدث قائلاً:

- روح أنت يا أيمن.. مراتك محتاجاك.

هز أيمن رأسه الضخم مستنكرًا فكرة صديقه قبل أن يجيب الأول منفعلاً:-

- أيه يا هشام؟.. حد قالك أن معنديش دم؟.. أنا لا يمكن أسيبك لوحدك وبعدين أنا معاك في الفريق ومن حقي أفهم كل..

قاطع هشام حديثه بلهجة آمرة قائلاً:-

- ده أمر يا سيادة المقدم.. أنا كل اللي في دماغي مجرد تكهنات.. وصدقني أول ما هتأكد من حاجة هبلغك.

أومأ أيمن رأسه بحيرة واستعد للانصراف قبل أن يقاطعه هشام قائلاً:

- خد بالك من مراتك يا أيمن.

ابتسم أيمن لصديقه، قبل أن يدير وجهه وينصرف، أما هشام فقد أخرج هاتفه محضرًا رقم اللواء عاصي ليضغط زر الاتصال ويتحدث قائلاً:

- تم التوصل للجانية يافندم، أنا في السكة جاي لحضرتك لوضع خطة القبض عليها.

***

قضت هدى اليوم بأكمله بالهروب الدائم من المواجهة، ظلت حبيسة الفراش طوال فترة تواجد زوجها.. تلعن ذاتها مع كل ذرة هواء تستنشقها رئتيها.. رفض فمها الزاد حتى اعتصرت أمعاؤها وصرخت بحثًا عما يطفئ الجوع، ولكن وكأن تأنيب ضميرها قد ضن عليها بما يغني من جوع، فلم يشق الطريق إلى جوفها سوى بعض قطرات المياه، تهربت كثيرًا من تساؤلات أيمن طيلة الأمس تارة بالبكاء.. وتارة بتقمص النوم.

وفي الصباح فتح أيمن عينيه استجابةً لنغم المنبه المزعجة فالتفت ناظرًا إليها، ولكنها لم تكن طريحة الفراش، انتابه الفزع وبعض الأفكار المخيفة فهم بالقيام من على فراشه، لكن صوت فتح باب الغرفة سبق تلك الفعلة، ليفتح فمه عن أخره ذهولًا مما رآه.

اقتربت تلك المرأة التي تشبه زوجته كثيرًا فيما عدا تلك المساحيق التي تزينت بها وجنتاها وشفتاها، وذلك العطر الذي استباح أنفه ليجعله يرفع حاجبيه إعجابًا وبالطبع تختلف عن زوجته كثيرًا في تلك الصينية التي تحملها وتزينها بأجمل وأرق الأصناف التي يعشقها أيمن، اقتربت منه تلك المرأة وعلى شفتيها ابتسامة ساحرة تشبه كثيرًا تلك الابتسامة التي غابت عنها طويلاً، وضعت الصينية على الكومود المجاور للسرير لتنظر له بأعين تشع محبة قائلة:-

- صباح الخير يا أحن وأجمل راجل شوفته في حياتي.

نظر إليها مندهشًا وهو يفرك عينيه غير مصدق لما يراه.. قبل أن يرد عليها قائلاً:-

- هدى مراتي.. صح؟!

ابتسمت وهي تقترب منه لتطبع قبلة على جبينه أعقبتها بلمسات ماسحة لخصلات شعره التي رأف بها الزمان فلم يصبها ذلك التساقط الذي أسقط مقدمة رأسه، قبل أن تعتدل بقوامها لتمسك بصينية الطعام واضعة إياها أمامه.. وتتحدث قائلة:-

- عايزة الفطار ده كله يخلص.. مفهوم؟

- هدى يا حبيبتي.. أنت اتجننتي؟!.. أومال عربية الرش اللي كانت شغالة عياط بقالها يومين راحت فين.

استدارت حول السرير لتتمدد بجانبه وما زالت محتفظة بابتسامتها، قبل أن تقول:-

- بص، تعالى ننسى كل اللي فات ده ونبتدي من أول النهارده.. أنا بحبك أوي يا أيمن.

عاد فمه للانفتاح مرة أخرى، لتمد يدها بقطعة من الخبز المطلية بالجبن وتضعها بفمه، اعترت السعادة عينيه وظلا يتبادلان قطع الطعام المنغمسة بالقبلات السريعة، ليمسك أيمن بالصينية ويضعها جانباً، ويمد يده ليداعب خصلات شعرها التي بدأ اللمعان الفضي باستباحتها، ليغمز بعينه قائلاً:-

- أنا بقول أخد النهارده أجازة.

انطلقت ضحكاتها الفاهمة لما يقصد، قبل أن تعتدل بجلستها وتهب واقفة قائلة:-

- لأ بلاش كسل، أنا كمان هنزل شغلي.. أحكيلي بقى أخبار شغلك أيه.

نظر إليها مندهشًا وهو يبتسم سعادةً بعودة زوجته إلى طبيعتها المهتمة بأدق تفاصيل عمله.. ثم بدأ بسرد تلك القضية الشاغلة لعقله.. حتى انتهى من أخر فصولها المتعلقة بجريمة العجمي وسط متابعة وذهول من زوجته، انتهى من ذلك السرد وبدأت هدى بالتوجه إلى خزانة ملابسها بحثًا عما سترتديه، وهي تتساءل:-

- ست تقتل 5 رجالة.. معقولة؟

- لا وأيه ياريتها بسكينة ولا بمسدس.. دي بتخنقهم.

تعجبت هدى من ذلك الوصف وهمت بالتعقيب، إلى أنها تفاجأت بزوجها ملتصقًا بظهرها لافًا ساعده حول عنقها.. وهو يقبل وجنتها بشراهة مرددا:-

- بتخنقهم كده.

لتعاود ضحكاتها الرنين بجنبات غرفة نومهما وهي ترد:

- بطل قلة أدب بقى هنتأخر عن الشغل

- الله! مش بحكيلك بتموتهم إزاي.. والله بتخنقهم كده.

انحنت بجسدها لتتخلص من قبضته المازحة، لتضع يديها على كتفيه وتنظر إليه بأعين حاملة من الشوق أقصاه، لتتحدث هامسة:-

- وهي بوستها حلوة زيك كده؟!

ابتلع ريقه بصعوبة وتنهد بأنفاس حاملة من اللهب ما يذيب القطب الشمالي، وهو يتأمل شفتيها الصغيرتين المزينتين باللون الوردي، قبل أن يبدأ بتلثيمها كضالٍ بصحراء قحفاء يلثم كأسًا من المياه الباردة، أبعدته عنها برفق.. وهي تتحدث بنبرتها العذبة:-

- ورانا شغل.. خليها بليل.

نظر إليها وكأنه يعلن نفاد صبره، قبل أن يهم بخلع ملابسه غيظا.. استعدادًا لمغادرة المنزل.

***

- أنا فرحانة أوي يا هشام أني قدرت أساعدك.

بهذه الكلمات استقبلت عُلا الخبر الذي تلاه العقيد بالنجاح في تحديد هوية الجانية، قبل أن تستكمل حديثها قائلة:

- قولي بقى التفاصيل، أنت من ساعة ما قولتلي بليل وأنا ما نمتش.. اسمها أيه؟

ابتسم العقيد قبل أن يرد على سؤالها:

- اسمها سناء.. سناء المتولي.

- وبتعمل كده ليه؟.. وهتقبضوا عليها امتى؟.. احكيلي كل حاجة.

ظل العقيد مثبتًا أنظاره على تلك الملاك التي اكتست بروح الأطفال في حديثها، وزادتها البهجة جمالًا على جمالها.. قبل أن يقول:

- بتعمل كده ليه.. لما نقبض عليها هنعرف، هنقبض عليها امتى أنا في انتظار شوية إجراءات.

عادت الجدية لشق طريقها في حديث الطبيبة:

- بس خد بالك يا هشام، حالة زي دي لازم يتم إلقاء القبض عليها بهدوء تام، شخصية القاتل لو سيطرت عليها لحظة القبض رد فعلها مش مضمون، ممكن تقتل حد من القوة بعد الشر.. دي ممكن حتى تقتل نفسها.

أومأ العقيد رأسه متفهمًا حديثها قبل أن يغير مجرى الحديث وما زال مسلطًا ناظريه عليها:

- نفسك في أيه؟

ضحكت الطبيبة ذهولًا من ذلك السؤال قبل أن تتحول ضحكتها إلى ملامح حزن جلية قائلة:

- تعرف أن دي أول مرة حد يهتم أو يسأل نفسي في أيه؟! غريبة مش كده؟!.. زمان وأنا صغيرة كان نفسي أطلع كاتبة.. كانوا بيقولوا أني بكتب حلو.

ابتسم العقيد متعجبًا من سخرية القدر ليقول:

- سبحان الله!.. كان نفسك تطلعي كاتبة وطلعتي دكتورة نفسية، وأنا كان نفسي أطلع دكتور نفسي وطلعت ظابط.. على كده لو روحنا لكاتب هيطلع كان نفسه يكون مهندس.

ابتسمت الطبيبة بأسى قائلة:

- والمهندس هنلاقيه كان نفسه يطلع ظابط.. بس تعرف أيه الغريب؟.. الغريب أن يوم ما حد يسألني نفسك في أيه.. ما يبقاش نفسي في حاجة، بس أنا مش هضيع الفرصة وهقولك نفسي في أيه.

تنهدت تنهيدة قوية زافرة أنفاسًا حملت من البخار ما يدل على برودة الطقس بالثامنة صباحًا قبل أن تقول:

- نفسي أقابل السفاحة بعد ما تقبض عليها، نفسي أشوف بنتي تاني ونفسي..

صمتت ولم تكمل ليتساءل هو:

- نفسك أيه؟

مدت يدها الباردة فجأة لتمسك بيد العقيد قائلة:

- نفسي أفضل معاك على طول.

ترقرقت الدموع في أعينهما، كلٌ يبكي على ليلاه، ليمد يده قابضًا على يدها وكأنه يطمئنها، قبل أن يبتسم قائلاً:

يلا عشان متتأخريش عالشغل.

أومأت برأسها وابتسمت قبل أن تستأذن بالانصراف، ارتشف هشام أخر قطرات قهوته التي حولها طقس يناير إلى شبهته قبل أن يلج أيمن إلى الكافيتيريا مفعمًا بالسعادة والنشاط، ألقى السلام وسحب مقعدًا مواجهًا لصديقه.. ليبدأ أيمن الحديث:

- واضح أن النهارده وش السعد.. هدى تبقى كويسة وأنت تقولي أنك وصلت للسفاحة.. فهمني بقى فيه أيه.

- هحكيلك يا أيمن، بس عايزك تركز معايا وتنفذ اللي هطلبه بالحرف الواحد.

***

تعمدت إيقاف سيارتها بأحد الشوارع الجانبية البعيدة عن الصيدلية، ثم ترجلت بخطوات مترددة تحاول قدر الإمكان إيهام نفسها باللامبالاة، ولكن ذلك اللعين المسمى بالضمير ظل يذكرها بقبلات الخطيئة التي نهشت جسدها، لم تستطع منع الخوف والتردد من

الوصول إليها.. فما أن وصلت إلى بداية الطريق المؤدي إلى وجهتها حتى وجدت قدميها تتعمدان إبطاء الخطوات، فتوارت خلف إحدى الأشجار الفارعة بناصية الطريق وأخذت تتلصص النظرات حتى تأكدت من أن المحل الخاص به مغلق، تنهدت تلك التنهيدة الدالة على النجاة من الخطر الوشيك وبدأت بالخطو خطوات واثقة حتى وصلت إلى صيدليتها وشرعت في فتح بابها الحديدي الذي أصدر ذلك الطنين المعتاد، وما أن وصلت إلى مكانها المعتاد حتى وضعت حقيبتها واستدارت لتجده واقفا أمامها بشعره الأشعث وهيئته البالية والتي جعلته أكثر تشبهًا بالشحاذين والمتسولين، زاغت عيناها يمينًا ويسارًا قبل أن تركز عينيها على هيئته البشعة وعينيه الدامية دمعا، ويبدو أن الضعف الذي استشرى بداخله قد انعكس عليها بالنقيض فشعرت أن القوة بدأت تدب بنفسها، فرفعت رأسها إلى أعلى محركة حاجبها الأيسر كما هي هيئتها مع الغرباء لتبدأ بالحديث:-

- نعم؟

. هدى.. أنا أسف.. أنا استاهل ك..

- كريم.. أنا مش هسمحلك تخش هنا تاني.. مفهوم؟؟.. اتفضل اطلع بره.

رفع عينيه تجاهها غير آبه بتلك الدموع التي تساقطت من عينيه.. وكأنه يستجديها بنظراته ولكن دون جدوى فقد تركته واتجهت إلى أحد الأركان لتبدأ نشاط يومها متعمدة تجاهله، رفع يديه ماسحًا وجهه ليزيل آثار الدموع، قبل أن يداعب خصلات شعره جاذبًا إياها بغضب وهو يبتسم بطريقة هيسترية.. ليتجه إلى مكان وقوفها مقتربًا منها وما زالت الابتسامة الغريبة تسيطر على فمه.. لاهثًا بأنفاسه حتى أن الخوف قد تملك منها وهي تنظر إلى تلك الملامح والأعين التي ازداد

اتساعها حتى جحظت، لتهدأ أنفاسه فجأة وتختفي تلك الابتسامة وتبدأ الدموع بشق طريقها مرة أخرى إلى عينيه قبل أن يتحدث قائلاً:-

- هتسبيني؟؟ صح!!.. هتمشي أنتي كمان زي ما مشيوا؟!.. لا يا هدى أنتي مش زيهم.. أنتي الصاحبة اللي ربنا بعتها عشان أخرج من كل اللي أنا فيه.. مش هتسبيني ابقى لوحدي.. أنتي بس بتعاقبيني عاللي حصل ويومين وهنرجع صحاب.. صح؟

- هه.. أعاقبك عاللي حصل؟!.. أنت محسسني أنك كسرتلي إزازة برفان؟.. أنا خنت جوزي بسببك أرجوك يا كريم ابعد.. أنا كل ما ابص لوشك ولا اسمع صوتك افتكر اللي حصل.. وأقرف من نفسي أكتر.

أومأ رأسه ببطء وهو ينظر إلى الأرض، قبل أن تبدأ ضحكاته المريبة بالارتفاع تدريجيًا حتى السعال، ليخبط بيده على الطاولة المجاورة له بقوة جعلتها تنتفض ذعرًا وهي تراقب تلك الرجفة التي احتلت شفتيه ونظرات الغضب التي تملكته قبل أن يصرخ دون مراعاة للمارة أو للمجاورين قائلاً:-

- هو أنتوا أيه؟؟!.. هو أنا لعبة في أيدكم.. أنا مش تحت مزاج حد.. أنتي سامعة؟!.. أنا مش تحت مزاج حد.. أنا هبعد يا هدى.. بس بفكرك أنتي هتيجي تترجيني وتتذليليلي نرجع.. ولما يجيلي مزاج بس أسيبك هسيبك.. وهتشوفي.

أدار وجهه ليوجه لكمة قوية لتلك المرآة المواجهة له لتتناثر أشلاءها الزجاجية المختلط بقطرات دمه تاركًا هدى لهم بالانصراف.

***

السادسة مساءً وبعد اتخاذ الإجراءات اللازمة، استعدت مديرية أمن الجيزة برتبها المختلفة واتجهوا إلى قسم شرطة الجيزة لاستقبال

تلك السفاحة التي شغلت الرأي العام طيلة الشهر الحالي، وكما استعدوا هم.. استعدت عُلا والحماس يعتريها لملاقاة أولى نجاحاتها العملية، تتخيل كم المانشيتات الصحفية عنها واللقاءات التليفزيونية التي ستجريها احتفالا بنجاحها، تتخيل الندم بأعين كل من أقصوها من حياتهم، اهتز هاتفها معلنًا عن وصول العقيد أسفل منزلها، فهبطت مسرعة لترتاد سيارته.

وينطلقا.. وبعد مرور دقيقتين.. أشهر هشام هاتفه متصلًا بصديقه أيمن، تلك المكالمة التي لم تتجاوز جملة واحدة تحدث بها العقيد قائلاً:

- أنا والدكتورة عُلا جايين في السكة يا أيمن.

وصلا إلى شارع البحر الأعظم والذي يحتوي على قسم شرطة الجيزة، تجاوزا تلك التكدسات البشرية من رجال الصحافةِ المدججين بالكاميرات طمعًا في سبق صحفي.. ترجلا من السيارة واتجها إلى المبنى الشرطي ليلجا إلى ذلك الممر المؤدي إلى غرفة المأمور.

أما أيمن ورجاله فقد اقتحموا شقة المشتبه بها بحثًا عن أي دليل يضيف إلى ما توصلوا إليه، توغلوا داخل تلك الفوضى المسيطرة على ذلك المنزل قديم الأثاث والطراز.. حتى وصل أحد الأفراد إلى سكين وارته الجانية بأحد أدراجها وقد لُطخ نصله بالدماء.

هم فريق البحث بالخروج ليلاقيهم رجل قد تجاوز الستين مرتديًا ذلك المعطف المنزلي العائد إلى زمن السبعينيات بابتسامته السمجة وأعينه التي تشع فضولًا قائلاً:

- هو فيه حاجة؟!، أنتوا مباحث مش كده؟!

استقبل أيمن كلماته بضجر واضح ليرد عليه بحزم:

- خليك في حالك.

أومأ الرجل برأسه دون أن يتخلى عن ابتسامته، ولكنه لم ينفذ أوامر المقدم.. بل أشار بأصبعه إلى الصندوق الخشبي المجاور لمنزل القاتلة لافتًا أنظار فريق البحث.

وقف هشام وبصحبة عُلا أمام غرفة المأمور وهم الأول بفتح الباب، ولكن عُلا استوقفته قائلة:

- هو بعد القضية دي مش هنتقابل تاني؟.. هنتقابل صح؟

أومأ العقيد برأسه مقاومًا تلك الدموع العاتية التي حولت أرنبة أنفه إلى الاحمرار بمساعدة من برد يناير، قبل أن يفتح الباب ليلجأ إلى مكتب المأمور.

ولجت عُلا مُشهرة ابتسامة الانتصار باحثة بأعينها داخل المكان المليء بألوية الشرطة عن تلك السفاحة، عقدت حاجبيها عندما وقعت عينيها على أخيها الذي لم تره منذ أكثر من عام.. "لابد أنه قد نمى إلى أذنيه نجاحات شقيقته التي طالما اتهمها بالفشل واعتبرها مصدرًا للإزعاج"

هكذا حدثت نفسها محتفظة بابتسامتها التي تلاشت بمجرد سقوط عينيها على زوجها السابق بصحبة دكتور شُهدي، عقدت حاجبيها تعجبًا من تواجدهم، وبدأ عقلها بإرسال الأسئلة خصوصًا مع كم الجنود المدججين بالسلاح المتواجدين داخل تلك الغرفة الضيقة، وبدون أي مقدمات، وجدت هشام يغلق ذلك السوار الحديدي الخاص بالمجرمات على يدها.. متحدثًا من بين طيات دموعه قائلاً:

- تم القبض على سفاحة الرجال يا افندم.

التفتت يمينًا ويسارًا قبل أن تصيح:

- سفاحة رجال إيه، أنا الدكتورة عُلا الجوهري.. افتح يا هشام الكلبشات دي.. دكتور شُهدي قولهم أني دكتورة يا دكتور.. هم بهزروا صح؟

لم تجد الرد سوى دموعًا من أعينهم، فبدأت أنفاسها بالتسارع حد اللهث، وبدأت خيالات الواقفين تتراقص أمام عينيها.. حتى فقدت القدرة على تمييز ملامحهم، قبل أن تُعلن استسلامها وتسقط أرضًا فاقدة للوعي رافضة له.

***

الفصل السابع.. هُنا يرقد كل مؤنث

بعد يومين..

فُتح المحضر اليوم 19\1\2012 الساعة 8:30 ص من سراي نيابة الجيزة..

نحن \عدلي أبو العدل \ وكيل النيابة \مصطفى الشرقاوي \سكرتير التحقيق:

بهذه الكلمات استهل وكيل النيابة التحقيق في حضور العقيد هشام والمقدم أيمن، قبل أن يوجه وكيل النيابة سؤاله إلى ذلك الرجل الجالس أمامه:

- اسمك.. وسنك.. وعلاقتك بالمتهمة؟

اعتدل الرجل في جلسته قبل أن يجيب:

- نشأت آدم، موجه تاريخ على المعاش.. 60 سنة، أنا أبقى جار عُلا وأعرفها من أيام ما كانت عيلة صغيرة.

- تعرف أيه عن المتهمة؟

- زي ما قولت لحضرتك أنا جار عُلا، واعرفها واعرف أهلها كويس، والدها الله يرحمه كان ظابط جيش صارم، ووالدتها الله يرحمها كانت مثال للتدين والالتزام.. عُلا اتجوزت يجي من عشر سنين من رجل أعمال بورسعيدي وسافرت عاشت هناك، لكن من حوالي شهرين رجعت وفتحت بيتهم القديم، لكن كانت متغيرة تماماً..

- تعرف أيه عن القضية المعروفة إعلاميًا باسم سفاحة الرجال؟

- في الحقيقة أنا ما شوفتش أي قتل أو أي دليل عليه، لكن تغيرات عُلا كانت مُريبة.

- تغيرات زي أيه؟

- يعني كانت بتنزل من البيت في أوقات غريبة وترجع في أوقات أغرب، والأغرب من ده.. هدومها.. مرة ألاقيها لابسة خمار وماسكة كُتب ثانوي زي ما كانت بتلبس وهي صغيرة، ومرة ألاقيها بهدومها العادية، ومرة ألاقيها بعباية وطرحة.. لكن أخر مرة هدومها ماكنتش مقبولة.

- إزاي؟

- كانت لابسة لا مؤاخذة بلوزة واصلة لنص بطنها وجيبة فوق الركبة، ولما شافتني حاولت استغفر الله تغريني.. بس أنا راجل بتاع ربنا ومقدر إني جذاب فقاومت إغراءها ده.

ابتسم وكيل النيابة سخريةً من حديث "نشأت" قبل أن يسأل الأول سؤاله الأخير:

- طيب يا عم الجذاب.. عندك أي معلومات تانية أو أي ملاحظات؟

- اه.. في أخر أسبوعين كل كام يوم كنت ألاقيها خارجة بلبس مختلف وتقوم حاطة لنفسها جواب في صندوق الرسايل، وأول ما ترجع تاخده.. حتى قولت للباشا على الجوابات دي.

أنهى "نشأت" حديثه وهو يشير بسبابته تجاه المقدم أيمن، قبل أن يشكره وكيل النيابة ويأمره بالانصراف.

أمسك وكيل النيابة بتلك الرسائل التي تم العثور عليها بجوار منزل السفاحة "عُلا"، وبدأ بقراءتهم.. قبل أن يلتفت إلى ضابطي المباحث مستفهمًا بنظراته ليتولى "هشام" مسئولية الإيضاح:

- الرسايل دي مكتوبة بخط عُلا، وممضية كل رسالة بتوقيع مختلف، واحدة باسم "رابونزل" ومرة باسم "فانتين" ومرة باسم "المرأة

الآلية" ومرة باسم "العاهرة"، كل رسالة من دول مقترنة بجريمة من الجرائم، عبرت فيها عُلا عن دوافع الشخصية اللي كانت مسيطرة عليها في وقت للجريمة.. وده باين من تواريخ الرسايل كل تاريخ مواز لجريمة.

- طب وهل ده ليه تفسير في الطب النفسي؟

- محدش يقدر يجاوب عالسؤال ده غير دكتور شُهدي.. حضرتك مستدعيه واعتقد هو الأجدر بالإجابة.

***

جلست بسريرها تنظر من خلف ذلك الحاجز الزجاجي على الجنود المكلفين بحراسة غرفتها، تنظر يمينًا ويسارًا بحثًا عن منقذ.. تتساءل هل حقًا كما يدعون أنها قاتلة؟!

لقد قرأت تلك الرسائل.. هو خط يدها.. هو أسلوب كتابتها الذي طالما أشاد به الجميع.. مسحت عينيها بيديها النحيفتين عسى أن تستيقظ من ذلك الكابوس، وبعد محاولاتٍ ومحاولات.. اكتشفت أنه ليس هناك سبيل للهروب، ليس هناك سبيل للعودة إلى الوراء أو تغيير الواقع.

أمسكت بأوراقها التي طلبتها ولبت إحدى الممرضات ذلك الطلب، وبدأت بكتابة رسالة.. وقد عنونتها باسم "الرسالة الأخيرة":

أنا لست رابونزل أو فانتين أو المرأة الآلية ولست حتى عاهرة.

ولكني جميعهن.

قد أكون أنا القاتلة كما يدعون.. لا فرق، لا فرق بين قاتل ومقتول.. كلاهما قد أخطأ.. ولكننا كالعادة نكتفي بنهايات الأمور، أشعر بالندم.. حقًا أشعر به يعتصر ضلوعي.. ليس على كوني قاتلة فلا ذنب لي في ذلك، ولكني نادمة على عدم الاستمتاع بقتل هؤلاء الرجال،

أندم على عدم قتلي لمن حولوني لتلك التي أنا عليها الآن.. ها أنا على فراشٍ أحسبه الأخير، أكتب رسالة هي الأخيرة.

أتمنى لو قرأتِ يا صغيرتي تلك الحروف، أتمنى لو تعلمين أن أمك ضحية وليست قاتلة عاهرة شريرة.. سيملون على آذانك الصغيرة قصائد الهجاء في حقي، سيخبرونك بأنني أسوء النساء وأحقرهن، لن أطلب منك الدفاع ولا تكذيب أقوالهم، ولكن سأطلب منك إن قرأتِ رسالتي يومًا ما.. أن ترفضي القدر، أن ترفضي تلاعب العقول بماهيتك.. فلترقصي الباليه، وترتدي ما تودين.. لا تقبلي الزواج بلا هدف، وابحثي عن الحب وإن كان في أقصى المدينة.

سيخبرونك أني عاهرة!!، تركت زوجها وأبنتها بحثًا عن الحب.

تالله لم أفعل، نعم تركتك وتركت ذلك السجن المسمى ببيت، تركت ذلك السجان المسمى بزوج.. ولكني لم أبحث عن الحب، بحثت عن السعادة.. بحثت عما أريد ولو لمرة، بحثت عن الاختيار.

صغيرتي كارما، أود أن أخبرك كم أحبك، ولكني سأترك لأحلامك تلك المهمة.

سُئلت أخيرًا ما عما أريد ولم أجد جوابا، فلم أعتد التفكير والاختيار، ولكني الآن أدرك ما أريد.. أريد أن ألفظ أنفاسي الأخيرة بفراشٍ يجمعني بكِ، وأرى نظرات الشفقة على وجه ذلك الخائن المسمى بوالدك، أريد أن يعود الزمن إلى الوراء فقط لعامٍ واحد.

كنت سأرحل بمشهدٍ مهيب، يتبارى المعزون في البكاء على تلك المرأة التي يرونها رمزًا للعفة، فقط عامٌ واحد حولني من زوجة شريفة إلى امرأة عاهرة، فقط لأنني أردت السعادة، فقط لأنني أردت الاختيار.

أكثر ما يؤلمني أن جسدي سيوارى التراب دون وجودٍ لشخصٍ يبكي لفراقي أو يخبرني بأنه سيظل يتذكرني أبد الآبدين، فقط سيلقون بذلك الجسد الذي أنهكه الزمن إلى تلك الحفرة الضيقة.. لا.. لا أهاب الوحدة في القبر فقد مررت بها في الحياة، ولكنني أهاب أن ألقاكِ بعد عُمرٍ طويل وأنتِ مثيلتي، فاحرصي كارما على السعادة، وابحثي عنها مبكراً.

إلى من سيقرأ تلك الحروف.. أعلم أني الآن قد وجدت السبيل للفرار، لا أعلم أن كنتم ستكتبون على قبري هنا ترقد عُلا أم السفاحة أم رابونزل أم فانتين.. إلخ، ولكني أتمنى أن تكتبوا هُنا يرقد كل مؤنث.

***

- اسمك وسنك وعلاقتك بالمتهمة؟

بهذا السؤال المعتاد بدأ وكيل النيابة استجوابه لدكتور شُهدي الذي أجاب بدوره:

- شُهدي سرور، مدير مستشفى الأمل للطب النفسي 43 سنة، عُلا غير أنها دكتورة عندي في المستشفى تحت التدريب، فعلاقتي بيها وبوالدها تمتد يجي من 15 سنة من ساعة ما جيت من الصعيد.

- معلوماتك عن الحالة النفسية للمتهمة؟!

- في الحقيقة عُلا كانت بتعاني من اكتئاب شديد، نظرًا للظروف اللي مرت بيها الفترة اللي فاتت.. وفي بدايات شهر ديسمبر جتلي وكان باين عليها الاكتئاب الشديد.. وبصفتي طبيب نفسي قبل أي شيء بدأت أسألها عن حياتها.

- أيه المعلومات اللي قدرت تتحصل عليها أثناء الفترة دي؟

بدت ملامح الانزعاج جلية على وجه الطبيب قبل أن يقول:

- حضرتك دي تبقى حاجة غير مهنية أني أفشي أسرار حد من المرضى بتوعي.

وكأن ذلك ما توقعه وكيل النيابة فأمسك بورقة مشهرًا إياها إلى الطبيب تحتوي على تصريح من نقابة الأطباء، هدأت ملامح الطبيب وبدأ بالسرد قائلاً:

- عُلا كانت بتعاني بما يسمى بأزمة منتصف العُمر اللي بتمر بها أي سيدة متزوجة، رغم أن سن عُلا كان أقل من متوسط العُمر للإصابة، الأزمة دي بتحصل للست لما تحس أن أهميتها انعدمت أو اقتصرت في دور المأكل والملبس، لكن نظرًا للتراكمات النفسية اللي كانت عندها الموضوع مكنش بسيط، وبدأت عُلا أثناء فترة زواجها في البحث عن شيء يؤكد أهميتها، خصوصًا أن جوزها كان مشترط عليها عدم العمل.

قاطعه وكيل النيابة معترضًا على السرد البطيء قائلاً:

- أيوه ده علاقته أيه بالقضية؟، أنا عايز حاجة أدت لقتل الـ 5 رجالة اللي قتلتهم.

- دي البداية يا فندم.. في الفترة دي استعادت عُلا شغفها في الكتابة، وبدأت في التخطيط لدخول عالم نشر الروايات، وهنا كانت بداية تعارفها على طاهر أبوالفضل، صاحب دار نشر تحت التأسيس اسمها الطاهر.

- يعني عُلا حكتلك عن قتلها لصاحب دار النشر؟

هز الطبيب رأسه نفيًا قبل أن يُكمل سرده:

- عُلا اتعرفت على طاهر اللي استغل فراغ حياتها وبدأ يتوغل زي السرطان، في البداية كانت الإشادة بكتابتها وأسلوبها وبعدها ده اتطور

لغزل وإعجاب، في الفترة دي عُلا وزي ما بان في رسالتها اللي بعنوان المرأة الآلية، كانت بتعاني من إهمال وخيانة جوزها ليها.. وبظهور طاهر قدر يرجع إحساسها بالأنوثة.. ولأنها ضعيفة حبته، بدأ يوهمها بالحب ويقنعها بمشاركته في تأسيس دار نشر عملاقة مستغل حالتها المادية الميسورة، وفعلًا سابت بيتها وبنتها ولمت كل فلوسها وادتهاله.

زفر وكيل النيابة ضيقاً، قبل أن يتساءل:

- أيوه برده، اتنيلت قتلته ليه؟

- هي من الأساس مقالتليش أنها قتلته، كل اللي قالتهولي أنه نصب عليها وأنها اكتشفت خيانته ليها وأنه ناصب على كذا حد غيرها وهربان في العجمي.

- تفسيرك كطبيب نفسي لقتل عُلا لشخصيات مالهاش علاقة بيها وإنكارها لده بل اشتراكها في البحث عن الجاني، هل ده مرض نفسي ولا محاولة للهروب؟

- لكل شيء احتمال أنا قعدت مع عُلا بعد القبض عليها مرة واحدة بس، ودي غير كافية لتحديد الإجابة، لكن كطبيب نفسي بأكد احتمالية إصابتها باضطراب الهوية التفارقي.

صمت وكيل النيابة واكتفى بنظرات داعية لشُهدي بإكمال تحليله فأكمل الأخير قائلاً:

"المرض ده بيجمع مابين الاكتئاب والذهان والفصام، وفي حالات نادرة منه بيحصل ما يسمى بانقسام الوعي والذاكرة، فبيتحول الشخص المصاب لمجموعة من الأشخاص كل حد فيهم ليه ذاكرته ووعيه وميوله وقناعاته بشكل غريب وغير مفهوم لدرجة أن ممكن

توصل في بعض الأحيان أن الشخص الواحد بيكونله كذا شخصية كل واحد فيهم ليه دين مختلف"

- هل المرض ده ممكن يؤدي للقتل الفوضوي بالصورة اللي شوفناها دي؟

- المرض النفسي مفيهوش شيء مستحيل خصوصًا مرض نادر زي اللي أنا مفترض إصابتها بيه، الشخصيات اللي انقسمت ليها عُلا كانت واقعة كلها تحت سيطرة شخصية قيادية بنطلق عليها في الطب النفسي اسم

"الوحش"، الشخصية دي عند ظهورها بتتلاشى إرادة المريض كليًا وبتحركه فقط الرغبة في الانتقام والقتل والتعذيب، باختصار بتحركه كم الضغوطات والانكسارات الراقدة داخله للثأر.. وده يفسر إنكار عُلا لكل الجرائم، لأن ببساطة رابونزل بتتعامل مع فانتين والآلية والعاهرة على إنهم شخصيات تانية والعكس صحيح، وده أسلوب دفاعي من عقلها نظرًا للوحدة وتخلي الجميع عنها بعد طلاقها واكتشاف علاقتها بطاهر خصوصًا أخوها، وكل الشخصيات دي ماتعرفش أي حاجة عن اللي بتعمله شخصية القاتلة.. والأغرب أن عُلا ذاكرتها نفسها مفيهاش شيء عن أفعال الشخصيات دي بما فيها جرائم القتل.

- هل المرض ده بيظهر فجأة كده؟

- أي مرض نفسي بيحتوي على نقاط اشتعال سابقة لما يسمى بلحظة الانفجار، أعتقد أن نقاط الاشتعال في حياة عُلا كثيرة، كانت أبرزها سرقة طاهر لأموالها واتضاح أن حبه ليها مجرد كذبة غرضها الفلوس، خصوصًا مع رفض المجتمع ليها، أما لحظة الانفجار فكانت متمثلة في خروج شخصية القاتلة للمرة الأولى وقتل طاهر والهروب،

فبالتالي كانت جرائم القتل التالية بنفس الطريقة، وده اللي بيؤكد احتمالية إصابتها بالهوس التكراري.

***

- اسمك وسنك وعلاقتك بالمتهمة؟

- هشام عبد ربه، عقيد مباحث، أنا اللي مسئول عن فريق البحث في جرائم سفاحة الرجال، واللي كانت دكتورة عُلا جزء منه.

- إزاي اكتشفت أنها هي القاتلة؟

تنهد هشام وبدأ بسرد أحداث صباح ذلك اليوم الممطر والذي تلقى فيه خبر مقتل أحمد الصفتي، لم يجد بدًا من الاتصال بشريكته في فريق البحث ليتلاقى ويتبادلا الأفكار، حتى أتتها مكالمة هاتفية من الطبيب شُهدي، وبعد أن أنهتها لفت انتباهه تلك الصورة على شاشة هاتفها، لم تكن ابنتها ولا الشبه بينهما هو السبب في طلبه لرؤية الصورة مرة أخرى، بل كان ذلك السوار الذهبي الذي زينت عُلا به يدها، والمماثل لذلك الذي وجده بمسرح الجريمة الخاصة بسليم.

أنهى العقيد سرده لأحداث ذلك اليوم، ليتساءل وكيل النيابة:

- هل استندت في القبض عليها على مجرد التشابه في السوار؟

بدأ هشام في استكمال رحلة التأكد من ظنه، فبعد أن ودعته عند المشفى في ذلك اليوم، أرسل رسالة نصية إلى صديقه الطبيب يطلب فيها ملاقاته سرًا للضرورة القصوى، واستمع منه إلى بعض التفاصيل الخاصة بحياة عُلا وعلاقتها بطاهر أبو الفضل والتي أزادت من ظنه، وبعدها جاء دور التأكد.. فانطلق بسيارته متجهًا إلى منزل "سليم" لملاقاة ابنته "سلمى" وبحوزته صورة لـ "عُلا"، ومجرد أن رأتها الصغيرة، اتسعت حدقتا عينيها وصاحت قائلة:

- طبعًا أعرفها ولا يمكن أنساها، دي اللي أنقذتني من أيد بابا عند الدرس يوم ما أتقتل.

لم يكتف هشام بذلك، بل أسرع إلى إدارة الأدلة الجنائية وشاهد فيديو الكاميرا الخاصة بمطعم عامر، ليجد عُلا موجودة بلحظة حادثة التحرش تراقبها عن كثب، قبل أن تبتاع زجاجة مياه وتنصرف.

أنطلق بعدها إلى القطاع العام للتكنولوجيا لمتابعة مطابقة بصمات الجانية المجهولة وقتها بالجرائم التي لا يزال جانيها مجهولاً، ليتفاجئ بتطابق البصمات في قضية بالعجمي كان ضحيتها طاهر أبو الفضل ذاته.

ومن هنا قرر هشام البدء في وضع خطة محكمة للقبض على السفاحة، فقرر إبهامها بالتوصل إلى شخصية الجانية واختار لها اسمًا وهميا، ويوم القبض عليها وبعد استئذان النيابة، اصطحبها من منزلها واتجها إلى قسم شرطة الجيزة بعدما أقنعها بتواجد السفاحة هناك.. وأعطى إشارة إلى زميله المقدم أيمن الذي كان متواجدًا بمحيط منزلها ليقتحم وبصحبته القوة لتفتيش منزلها ليعثروا على تلك الرسائل ومن قبلها على سكين به آثار دم تعود إلى "عامر الشناوي" صاحب المطعم.

أنهى العقيد سرده لتحرياته وسط متابعة وكيل النيابة الذي تساءل قائلاً:

- هل لديك أقول أخرى؟

أراد العقيد إخباره، بأن تلك الأنثى محل المحاكمة ما هي إلا ضحية من ضحايانا جميعا، أراد إخباره ببطلان محاكمتها دون محاكمة كل من تسبب في انفجارها، أراد إخباره بألا يلتفت إلى النهايات دون بداياتها.. أراد أن يصرخ بأن تلك المرأة جني عليها الخذلان، قتلها

الإهمال.. ورفض الجميع توبتها وكأنهم بعفة ابن يعقوب وهي الخطيئة.. أفاق على شروده بترديد وكيل النيابة سؤاله مرة أخرى:

- هل لديك أقول أخرى يا سيادة العقيد؟

آثر الصمت بعدما اتخذ قرارًا في قرارة نفسه فتحدث قائلاً:

- لا..

أنطلق صوت هاتف مكتب وكيل النيابة، وهم العقيد بالانصراف، إلا أن الذُعر البادي على صوت الأول أثناء رده منع هشام من الانصراف، أغلق وكيل النيابة الهاتف وتحدث قائلاً:

- عُلا انتحرت.

***

على قبرها ومثلما توقعت أثناء دفن جثمانها لم يكن هنالك من يساعد في مواراة التراب لجسدها، حتى أقرب الأقربين اعتبروها ماضيا لابد من نسيانه، إلا هو.. وقف ممسكًا برسالتها الأخيرة يقرأها وكأنه يحفر حروفها بذاكرته، وبيده الأخرى ممسكًا باستقالته من وزارة الداخلية، وبعد الانتهاء من دفنها.. أشرف العقيد هشام بنفسه على وضع تلك اللافتة التي طلبت قبل انتحارها.. ليُكتب على قبرها:

هُنا يرقد كل مؤنث.

***

بعد مرور ثلاثة أشهر..

جلس هشام بتلك الأرض الزراعية المواجهة لمنزله الصعيدي الطراز، ممسكًا بيد "راجية" زوجته مداعبًا لأناملها تارة ولخصلات شعرها الحريرية تارة أخرى، وكأنه يعتذر عن سنواتٍ قضاها في

رفضها.. قبل أن يطلب منها الصعود لإيقاظ ابنتهما.. وتناول الفطور سويا.

استجابت المرأة الصعيدية لطلب زوجها المستقيل من وزارة الداخلية والذي قدم أوراقه مؤخرًا للتقديم بالتعليم المفتوح لدراسة علم النفس،

أمسك بجريدة الصباح متصفحًا عناوينها الغير متجددة، فهنا مانشيت عن أهداف الثورة، وهنا وعودا بتحسين الاقتصاد، وهنا تحليلًا لمؤامرة كونية تم إعدادها من كل دول العالم للإيقاع بنا.. ابتسم ساخرًا حتى وصل إلى صفحة الحوادث، لينتفض مذعورًا وهو يقرأ ذلك العنوان:-

"ظهور سفاحة جديدة بالمهندسين"

لم يكن العنوان هو ما جعله ينتفض، بل تلك الصورة التي صاحبت الخبر، فقد كانت تلك الفتاة التي ظلمها القانون متمثلًا فيه شخصيًا وكُتب تحت صورتها.. "صورة لسفاحة المهندسين"، حاول تكذيب ظنونه إلا أن اسم السفاحة كان كفيلًا بتأكيد الشكوك.. فقد كُتب بتفاصيل الخبر:

"أروى الملهي فتاة جامعية تذبح مخرجًا تليفزيونيًا شهيرًا وتمثل بجثة صاحب سوبر ماركت بالمهندسين، وتتهم الأول باغتصابها"

***

تمت بحمد الله.